الزهراء

ج ٣ : م ١ — ١٥ ربيع الاول ١٣٤٣

الميراث العربي

كان أبو خالد النميري في القرن الثالث للهجرة ، وكان يتحل الأعرابية ، ويتجافى في الفاظه ويتبادى في كلامه ، ويذهب المذاهب المنكرة في مضغ الكلام والتشدق به ليتحقق أنه اعرابي وما هو به وإنما ولد ونشأ بالبصرة . قالوا فخرج الى البادية فاقام بها أياماً يسيرة ، ثم رجع الى البصرة فرأى الميازيب على سطوح الدور ، فأنكرها وقال : ماهذه الخراطيم التي لا نعرفها في بلادنا ؟ . . .

فهذا طرف من العربية ، يقابله التاريخ في زمننا بطرف آخر من جماعة قد رزقوا اتساعاً في الكلام الى ما يفوت حد العقل أحياناً ، ووهبوا طبعاً زائغاً في انتحال المدنية الاوربية الي ما يتخطى العلل والمعاذير ، ورأوا أنفسهم أكبر من دهرهم ودهرهم أصغر من عقلهم ، فتعرف منهم أبا خالد الفرنسي وأبا خالد الانجليزي وغيرهما ممن اجازوا الى فرنسا وانجلترا فاقاموا بهما مدة ثم رجعوا الى بلادهم ومنبتهم ينكرون الميراث العربي بجملته في لغته وعلومه وآدابه ويقولون : ما هذا الدين القديم وما هذه اللغة القديمة وماهذه الاساليب القديمة ؟ ويثمرون جميعاً في هدم أبنية اللغة ونقض قواها وتفريقها . وهم على ذلك أعجز الناس عن أن

يضعوا جديداً أو يستحدثوا طريقاً أو يبتكروا بديعاً ، وانما ذلك زيغ الطبع وجنون الفكر وانقلاب النفس عكساً على نشأتها حتى صارت علوم الاعاجم فيهم كالدم النازل اليهم من آبائهم وأجدادهم وصار دخولهم فى لغة خروجا من لغة وايمانهم بشيء كفراً بشيء غيره ، كأنه لايستقيم الجمع بين لغتين وأدبين ، ولايستوي لاحدهم أن يكون شرقياً وفى لسانه لغة لندن أو باريس

ومنهم كتاب يكتبون بالعربية ويرتزقون منها وأدباء يبحثون فى آدابها وفنونها ، وكلهم مجيد محسن ، الا حيث يكتب كاتبهم فى اصلاح الكتابة ويبحث باحثهم في اصلاح الأدب ، فهنالك ترى أكبر همّ الاول أن تسلم له عاميته فلا ينكر عليه ضعف ولا لحن ، ولا يهجن له اسلوب ولا عبارة ، وأن يكون كل ما يعرض له من النقص معتبراً من الكمال العصري . . . وترى همّ الثاني ان يُكرِه الآداب العربية على أساليب غيرها ، ويقتسرها جراً وتلفيقاً وتلزيقا ويبسط فيها المعاريض الكلامية ؛ فهذا عنده كذب ولا دليل عليه ، وهذا محال ولا برهان فيه ، وهذا قائم على الشك ، وذاك على ما لا أدرى

حدثني كاتب شهير من هذه الفئة فكان من أعجب ماقال إن ابن المقفع فصيح بليغ وهو مع ذلك ليس بمسلم ولا عربى ولا شأن له بالحديث ولا بالقرآن ولا بالدين وساق ذلك رداً على ماقلته ، من أن لا فصاحة ولا لغة الا بالحرص على القرآن والحديث وكتب السلف وآدابهم . وما أدرى والله كيف يفهم هذا وأمثاله ، ولكنك تتبين فى عبارته مبلغ الغفلة التى تعترى هذه الفئة من نقص الاطلاع وضعف الفكر وبناء الأمر على بحث صحفي بلا تحقيق ولا تنقيب ، وترى كيف يذهبون عن الاصل الذى يقوم عليه الغرض ثم يحاولون ان يؤصلوا له على قدر عقولهم وأفهامهم . وقد تفلح الفلسفة فى كل شيء الا فى تعليل ما علته

معزوفة. وهل نشأ ابن المقفع الا على اللغة العربية والادب العربى والرواية العربية ، وكان من اقوى أسباب فصاحته المشهورة أخذه هذه الفصاحة وهذا الأسلوب عن نوربن يزيد الاعرابى الذي قالوا فيه انه كان من أفصح الناس لساناً . ولكن ابن من ينقب عن هذا ونحوه فى تلك الجماعة أو يتوهمه منهم ،وهل علموا ان ابن المقفع على انصرافه الى النقل من الفارسية واليونانية اختار يوما اسلوب العامة فى زمنه او استجاده للنقل والترجمة، او خرج على الادب الذى تأدب به ، او حاول فيه محاولة ، أو قال بوجوب هدم القديم لانه لايرى للعرب مثل الذى يعرف للفرس واليونان من العلم والحكمة والخيال

قال لى ذلك الكاتب فى بعض كلامه : ان الميراث العربى القديم الذى ورثناه يجب هدمه كله وتسويته بالعدم . قلت : افتوجد انت للناس لغة وأدباً وتاريخا ثم طبائع متوارثة تقوم على حفظ اللغة والأدب والتاريخ . أم تحسب أنك تستطيع بمقالة عرجاء فى صحيفة مقعدة . . . أن تهدم شيئاً أنت بين اوله واخره كعود من القش يؤتى به لاقتلاع جبل من أصوله

من أين جاء الميراث العربى وكيف اجتمع وتكامل الا من القرائح التى جدّت فى إبداعه واتمامه ، وأضافت أعمارها صفحات فيه ،واستخلصت له آداب الفرس والهند واليونان وغيرهم فعربت كل ذلك ليندمج فى اللغة لالتندمج اللغة فيه ، وليكون من بعضها لالتكون من بعضه، وليبقى بها لالتذهب به. ومن ذا الذي يزعم ان العرب هم كل الارض وان آدابهم خلقت على الكفاية لاتحتاج الى تحوير او تبديل ، ولكن من ذا الذى يرضى ان يجعل لكل أرض عربية لغة عربية قائمة بنفسها ، ولكل مصر أدباً على حياله ، ولكل طائفة من الكتاب كتابة وحدها ؟ ومن الذى فعل ذلك أو حاوله فى التاريخ الاسلامي كله ؟

لقد كانت القبائل العربية مادة هذه اللغة وسبب اتساعها واستفاضتها، وكان

فحول الشعراء من الجاهلية كأن كل واحد منهم قبيلة في التفنن والابداع مجازاً واستعارة وبديعاً ، ثم جاء القرآن الكريم فكان الغاية كلها ، ثم تتابع الشعراء والكتاب والادباء فمن لم يزد منهم على الموجود لم ينقص منه ، ثم جاء ادباء المترجمين وفيهم من جمع البراعة من أطرافها فكانوا هم القبائل الحديثة في معاني اللغة وفنونها ، وكان مذهبهم في كل ماترجموه وما اقتبسوه هذه الكلمة التي قالها العتابي « اللغة لنا والمعاني لهم » يريد العجم ، قد كان ينسخ كتبهم ويسافر في طلب الكتاب شهراً . والعتابي من ابلغ من أخرجتهم العربية ، كان واحد دهره في الاجوبة المسكتة

فلو صنعت القبائل الحديثة من أبي خالد الفرنسي الى أبي خالد الانجليزي هذا الصنيع لكان رأس أمرهم الحرص على اللغة ، فان شدوا عليها فسيحرصون على كتبها التي هي مادتها ، فان جمعوا هذه فسيدرسونها ويتناقلونها ، فاذا هم تدارسوها رسخت فيهم الملكة واستحكم لهم الذوق وانقادمعهم الطبع واستفصحوا واستجادوا ، فاذا انتهينا الى هذا لم يبق موضع يخالفون عليه وصار أدباء اللغة جميعا جنسا واحداً ولم يبق الا النقد يبين شخصا من شخص وطريقة من طريقة ، واللغة بعدُ محفوظة سليمة ، واليها المرجع كله ولها العمل كله وهي الامر كله ؛ وهذا ما تقوم عليه آداب الامم المستقلة المنفردة بجنسيتها ومقوماتها . الا يرى أبو خالد الانجليزي وأبو خالد الفرنسي كيف تباهي كل أمة في أوربا بلغتها وكيف يفخر الفرنسيون بلسانهم حتى انهم ليجعلونه أول مايعقدون عليه الخنصر اذا عدوا مفاخرهم ومكارمهم . وهل اعجب من أن المجمع العلمي الفرنسي يؤذن في قومه بابطال كلمة انجليزية كانت في الالسنة من أثر الحرب الكبرى ويوجب اسقاطها من اللغة جملة ، وهي كلمة (نظام الحصر البحري) ، وكانت مما جاءت

مع نكبات فرنسا في الحرب، فلما ذهبت تلك النكبات رأى المجمع العلمي أن الكلمة وحدها نكبة على اللغة كأنها جندي دولة اجنبية في أرض دولة مستقلة بشارته وسلاحه. وهل فعلوا ذلك الا ان التهاون يدعو بعضه الى بعض، وأن الغفلة تبعث على ضعف الحفظ والتصون، وأن الاختلاط والاضطراب يجيء من الغفلة، والفساد يجتمع من الاختلاط والاضطراب؟

إنما الامور بمقاديرها في ميزان الاصطلاح، لا بأوزانها في نفسها؛ فالف جندي أجنبي بسلاحهم وذخيرتهم في أرض هالكة بأهلها ربما كانوا غوثا تفتحت عنه السماء، ولكن جنديا واحداً من هؤلاء في أمة قوية مستقلة تنشق له الارض!

مصطفى صادق الرافعي

﴿ الأئمة في السفارات العثمانية ﴾

قال عبد الحق حامد بك — شاعر الترك الاكبر — في مذكراته التي ينشرها الآن في جريدة (وقت) التركية:

ان الدولة العثمانية لم يكن لها في سفاراتها لدى الحكومات الاجنبية أئمة يرجع اليهم في الامور الشرعية. فلما انتحر سعد الله باشا سفير الدولة العثمانية في مدينة فينة عاصمة النمسا، وبلغ مسامع السلطان عبد الحميد انه لم يكن هناك من يقوم بالامور الدينية عند وفاة السفير صدرت إرادته بأن يكون في كل سفارة إمام خاص بها. وفكر ولاة الامور يومئذ ان الامام اذا لبث في عاصمة أوربية مدة طويلة ربما يؤثر ذلك على سيرته فتقرر أن تكون مدة وظيفة كل إمام في كل سفارة سنة واحدة، ثم يخلفه فيها آخر غيره، فيكون ذلك وسيلة لكثرة عدد علماء الشريعة الاسلامية الذين يشاهدون بأنفسهم حالة العالم المتمدن مدة سنة كاملة. ولكن ولاة الامور لم يتقيدوا فيما بعد بهذا القيد وصار الأئمة يلبثون في السفارات زمناً طويلا

الذكرى

من البِرِّ يا قلب ان تذكر[١] ، فِلْ بي على الفائت المندَثِر ، ولا تألُ ذِكرَى ولا تدَّخر[٢]

هلُمَّ ننشُرْ مطويَّ الصفحات ، ونقرِبْ نازحَ اللذات[٣] ، ونَوْبْ من سفَرِ الأيَّامِ بغائب اللُبانات[٤]

أعدْ عليَّ من دقَّات ناقوسك ترنيما ، كان لذيذ الحواشي رَخيما ، ومن دقائق ساعتك ما رنَّ في أذُني قديما

فما زالَ ياقلبُ تقضي الحقوق ، وتذكر العهودَ فتَجزيها التلفُّتَ والخفوق[٥] ؛ حتى كأنك قلبان اثنان : قلبٌ مع الماضي متخلِّف العنان ، وقلبٌ ليسايرَ ركب الزمان[٦]

بعيشك قل لي : من علمكَ ردَّ الاحلام ، ورجوعَ التهفزى في نواحي الايام ؟ ومن رسم لك الإلمام[٧] ، بدمنة عيش أو برسم غرام[٨] ؟ ومن علَّم الدمَّ وصلَ الحبال[٩] ، وحمَّل اللحمَ ما يُوهن الجبال ، من الحنين الى سالفٍ خال ، أو البكاء على دارسٍ بال ؟

وما سلطانك يا قلبُ حتى تُدنيَ الممعنَ في بُعده[١٠] ، وتجدَه وإن تطاول العهدُ على فقده ، ؟ ومن علمك أن تتحدَّث ، وتقلبَ الاقدمَ والاحدث . وتذكر الصِبا وأيامَه ، ووادِيَه وآرامَه[١١] ، وبساطه ومدامَه

---

(١) ادّكر الشيء : ذكره (٢) ألا في الأمر يألو : قصر فيه وأبطأ (٣) النازح : البعيد (٤) اللبانات : الحاجات (٥) تلفت القلب : كناية عن الشوق (٦) الركب : ركاب الخيل أو الابل (٧) ألم بالقوم المامًا : زارهم زيارة قصيرة (٨) الدمنة : آثار الدار . والرسم : ما كان لاحقا بالارض من هذه الآثار (٩) الحبال هنا : العهود (١٠) الممعن : المبالغ (١١) الآرام : جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض

هو الله الذي صوّرك فأدقّك، وقدّر خفوقك ودقّك، ومهّدك وزقك[1]، وكتب عليك في الضلوع رقّك

وما أنتَ لولا التذكُّر والفِكَر، إلاّ كبعض القلوب إذ هي حجر، ينفجر بالعَذْب ولا يعلم كيف انفجر، ولا متى نبع ولا أين انحدر، أو كالارض يذهب شجرٌ ويأتي شجر، فلا تذكر ماغاب ولا تشعر بما حضر

شوقي

القومية والمدارس

لا يعمُّ انتشار اللغة العربية فى المدارس العالية — وغير العالية — حتى تصبح تلك المدارس ذات صِبغة وطنية مجرَّدة، ولن تعلَّم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس — من أيدي الجمعيات الخيرية، واللجان الطائفية، والبعثات الدينية — الى أيدي الحكومات (المحلية)

ففي سوريا — مثلا — كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدَقة، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لاننا جياع متضوّرون

ولقد أحيانا ذلك الخبز، ولما أحيانا أماتنا

أحيانا لأنه أيقظ بعضَ مداركنا، ونبَّه عقولنا قليلاً. وأماتنا لأنه فرّق كلمتنا، وأضعف وحدتنا، وقطع روابطنا، وأبعدَ ما بين طوائفنا؛ حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة: مختلفة الاذواق، متضاربة المشارب. كل مستعمرة منها تشدُّ فى حبل احدى الامم الغربية، وترفع لواءها، وتترنَّم بمحاسنها وأمجادها... وأعظم دليل على ما تقدَّم اختلاف الآراء وتباين المنازع فى الوقت الحاضر فى مستقبل سوريا السياسى...

مجموعة الرابطة القلمية
ص ٢١٧

جبران خليل جبران

(١) زق الطائر فرخه: أطعمه بمنقاره

التعريب

تعريب الاسم الأعجمى أن تتكلف العرب ادخاله فى لغتها وتجريه على منهاج أبنية كلمها ومخارج حروفها . ويسمى اللفظ الأعجمى بعد ذلك معرّبا لما صبغ به من الصبغة العربية

والقول باشتراط التغيير فى المعرّب حتى يصبغ بالصبغة العربيّة هو قول جمهور أئمة اللغة وأصحاب المعجمات . إذ لم يرد فى المعرّب بغير تغيير الا النزر اليسير ، وهو فى حكم الشاذّ

وانواع هذا التغيير مبسوطة فى كتب المعرّب وأصول اللغة وكتب النحو والصرف . فلتراجع ثمة

والتعريب وضعٌ لغوىٌّ لا مجازىّ . وهو يساوى الوضع العربى الارتجالى . فاذا كوّن عربى من مجموع حروفٍ لفظاً مهملا ، ووضعه بازاء معنى ، يصبح باذاعته بين قومه مستعملا ؛ كذلك اذا نقل ذلك العربى لفظاً من كلام العجم كان عنده ابتداء وعند قومه بمنزلة المهمل ثم باذاعته وتعارفهم عليه يصير عندهم مستعملا موضوعاً على المعنى الجديد ، لا فرق بينه وبين اللفظ العربى ؛ اذ لم يكن وضعه الاعجمى معروفاً لديهم من قبل. والقول بأن التعريب وضعٌ لغوى هو المفهوم من كلام أهل اللغة

والعرب الذين يصح منهم الوضع اللغوى لا المجازى ويعتدُّ بعربيتهم هم عرب الجاهلية وعرب الاسلام الى أواسط القرن الثانى . وبعضهم يجعل ذلك خاصاً بفصحاء الامصار ، ويرى بعضهم أن فصحاء العرب بقوا فى أواسط جزيرتهم الى أوائل القرن الرابع . وغير هؤلاء مستعجم أو مولّد ، وان كان عربىّ النسب . ولم يجسر أى امام من أئمة اللغة على ان يقول إن ما جاء فى كلام غيرهم مما لم ينطقوا

به عربيٌّ ، فصيح ؛ بل يقولون انه ملحون أو أعجمي ليس من اللغة الفصيحة في شيء

والشعوب التي تسمى الآن عربية ويبلغ عددها نحو ستين أو ثمانين ألف ألفٍ ليست عربية بالمعنى السابق ؛ بل عربية بالنسب أو بالبيئة ؛ وبأن لغتهم أقرب اللغات الى الفصيحة ، وليست فصيحة ؛ بل هي عامية أو دارجة أو مولدة

كل مباحث علوم اللغة انما هي في الفصيحة لا العامية . والفصيحة هي لغة القراءة والكتابة . وليس لنا بحث في العامية مطلقاً ، ولا يكون شيوع اللفظ فيها وهجره في الفصيحة حجة على انه يجب على الفحصاء استعماله

وقياس اللغة العربية الفصيحة على لغات شعوب أوربا غير صحيح ؛ لأن لغات أوربا في الجملة عامية وليس لها فصيحة مخصوصة كما لَنا . ولو كنا مثلهم لفعلنا فعلهم وجاز لنا استعمال كل لفظ من أي لغة

انّ مسألة رواية اللغة الفصيحة مسألة نقلية محضة ، لا دخل فيها للهوَى ولا للعصبية ولا للرأي ولا للقياس المنطقي ؛ فما رواه أئمة اللغة الموثوق بصحة روايتهم من الالفاظ الموضوعة وضعاً ارتجالياً أو منقولا أصلياً أو معرباً فهو العربي أو المعرب الفصيح ؛ وما سواه أعجمي أو مولد ؛ فكما لا يجوز لنا أن نغير فيما رووه من أصول الاعراب والبناء لا يجوز لنا بالأولى أن نزيد في لغتهم ما لم يستعملوه من الألفاظ . واذا لم نعبأ برواية أئمة اللغة والنحو وأقيستهم وآرائهم ، وقلنا افتياتاً : هم رجال ونحن رجال ؛ فقد خرجنا عن كل ربقة علمية ، وتجاوزنا حد التفريق بين الفصيحة والعامية ، وخلطنا بهما أيما خلط

واذا كانت اللاتينية واليونانية القديمتان اللتان انقرض اهلهما هما عند الاوربيين بمنزلة الفصيحة عندنا فكما لا يملك الطلياني والرومي ان يزيد الآن

فى معجم اللاتينية أو اليونانية القديمة لفظا من عاميته أو من لغة أخرى كذلك لا نملك نحن أن نزيد فى معجم الفصاحة التى انقرض أهلها لفظاً عامياً أو أعجمياً . ولو جاز لنا الزيادة فى الألفاظ لجاز لنا الزيادة فى كيفيات البناء والاعراب كما تقدم ، ولم يقل أحد بهذا ولا ذاك

إن اللغة العربيـة لا تنمو بزيادة الوضع اللغوى من جديد ، سواء أكان ارتجالاً أو تعريباً ؛ وانما تزيد بطرق زيادتها القياسية ، وهى الوضع المجازى والاشتقاق والنحت

أما المجاز فصحيح الأقوال المروية عن أئمة اللغة فيـه أنه قياسى بشرط القرينة المانعة من ارادة المعنى القديم والعلاقة بين القديم والحديث . والعلاقات المجازية تقرب من أربعين علاقة بحيث يستحيل مع مراعاتهـا العجز عن وضع اسم لأى مسمى اذا لم نرفضه لمجرد الشهوة والهوى ، ونمتعض منه لقلة استخفاف آذاننا لجَرْسِه ونَغَمه

والمجاز اذا شاع استعماله اصبح حقيقة عرفية ، له ما للحقيقة من الاعتبار ؛ على أن الدلالة التامة هى بالعرف لا بأصل الوضع . واذا بحثنا فى الفاظ أى لغة ، ومنها العربية ، وجدنا ان نحو نصفها أصله مجاز شاع استعماله فأصبح حقيقة ؛ اذن فالمجاز أكبر عامل فى نموّ اللغة . وهو (قياسى) مهما أدّى الى الاشتراك

والاشتراك ضرورى فى جميع اللغات . لان الفاظ كل لغة محصورة متناهية ، والمعانى غير محصورة ولا متناهية ؛ فلو وزعت الالفاظ على المعانى وجب المصير الى الاشتراك حتما ؛ وانما الذى يسهّل الاستفادة هى القرينة أو العرف ، على اننا اذا توخينا فى النقل المجازى اللفظ الذى هجر معناه عدم الاشتراك أو كاد

وأما الاشتقاق فكثير من ابنيته قياسى اتفاقا ، وبعضها مختلف فيـه ،

وبعضها سماعي ، والاول والثاني كافيان في سدّ خَلَّة اللغة اذا احتاجت الى مزيد

وأما النحت فهو قليل الاستعمال في العربية ، لانها ليست لغة زوائد في الجملة ، ولذلك لم يقس فيه الا وزن الفعللة وما اشتق منها مثل الحسبلة والبسملة ، فليس من عوامل نمو اللغة العظيمة ، ولا يصح الاعتماد عليه في ذلك

ويتشدق مستعجمة زماننا بقولهم : ان اللغات كأهلها كائن حي خاضع لقانون التجدد والدثور فجمودها على حال واحدة محال . ونحن نجاريهم ونقول : ان اللغة العربية كائن حي خاضع ايضاً لقانون التجدد والدثور ، فدعوى جمودها أو عجزها عن التعبير عن المسميات الحديثة باطلة . اذ قد علم أن طرق التعبير بالمجاز والحقيقة العرفيـة والاشتقاق لا تنتهي الى حدّ ، بل العجز والقصور عند من لا يسلك هذه الطرق ، ولا يكلف نفسه مؤونة البحث والتنقيب في كتب اللغة عما يريد ، ويستنيم الى الاعجمي حتى ينسخ على طول الزمان لسانه أوّلا ، وجنسه ثانياً ، وحريته ثالثاً ، ويتعزّى بقوله ان التعريب قياسي ، اعتماداً على أن العرب استعملوه وهو ابن العرب ووارثهم ، اذن فتجدّد حياتها انما هو بتجدد حياة أبنائها ودثورها بدثورهم ، فاذا أرادوا أن يكونوا هم أحياء عقلاً وحريةً كانت لغتهم حية نامية أيضا

والتعريب في اسماء الاجناس لا الأعلام ليس قياسيا بل هو سماعي . إذ أجمع أئمة اللغة على أن المعرَّب هو ما ورد في القرآن الكريم والاحاديث النبوية والشعر أو النثر المروى عمن يُحتجُّ بعربيتهم . واجماعهم في ذلك حجة . والا فلا معنى لقبوله في النحو مثلا ورفضه في هذا الموضع (راجع كتب المعرَّب والمزهر وكتب الاصول)

والذي جعل التعريب غير قياسي قلة ماورد منه عن العرب . اذ لا يزيد

ما فى جميع المعجمات وكتب اللخيل التى بأيدينا من أسماء الاجناس لا الاعلام على الف كلمة . وأنا أتحدّى من يأتى بأكثر من ذلك من المعرَّب الصحيح . واذا تساهلنا وادّعينا بلا حق أن كل ما ورد في كتب الطب والفلسفه من الاسماء الاعجمية معرب صحيح فلا أقول انه يزيد على أكثر من الف أيضاً وهو قول أتحدّى فيه الخصم كذلك ، فاذا كانت العربية في معجم واحد (كلسان العرب) جمع مئات الالوف من صور الكلمات ، فما ظننا بألف كلمة معربة صحيحةوضعت كما يقول اكثر الأئمة للتظرف والتحذاق وادّعاء التمدين لا للحاجة اليها ، كما يستعمل كثير من مستعجمة زماننا ومفتونيهم كلمتى (بُنْجور وبُنْسوار) على كثرة ألفاظ التحية العربية . إن وجود مثل هذا العدد القليل بالاضافة الى الفصيح لا يكفى أن يقاس عليه غيره

وكل ما يقال من أن كثيراً من الفاظ العربية منتزع من اللغات الاخرى فهو كلام بلا تحقيق ، لأن التوافق : إما أن يكون بين العربية وأخواتها السامية ، وإما أن يكون بينها وبين اللغات الاخرى الاجنبية . فاذا كان الاول فدعوى ان العربية أخذت من أخواتها ، لان أخواتها هى التى أخذت منها ، تحكمٌ ومجازفة . بل المعقول انها جميعاً أخذت من أمها السامية المجهولة ، على ان هناك فريقا من العلماء يستظهر ان العربية هى أم اللغات السامية القديمة

واذا كان الثانى فباطل أيضا ، لان العرب عدنانيّهم وقحطانيّهم هم سلائل الامم السامية سكان العراق والجزيرة والشام من البابليين الكلدانين والاشوريين والآراميين والحثيين والعمالقة ، وكلها أمم ذات حضارة قديمة وشرائع وضعية وسماوية ، سبقت حضارة اليونان والفرس والروم . والمعقول ان المتأخر يأخذعن المتقدم . ثم اذا علمنا أن قدماء المصريين أساتذة العالم القديم هم ساميون منذ (مينا) أى إخوة للعرب ، ولغتهم تتفق والعربية فى أكثر من النصف ، وهم قد فتحوا

البلاد ، وخالطوا العباد ، فما المانع أن يكون ما توافق من الالفاظ العربية وغير اللغات السامية منقول عن أصل سامى مصرى قديم ، إن لم يكن من حثى أوفينيق أو آرامى الخ

على أن من العرب أنفسهم من كان لهم حضارة عظيمة وتجارة منتشرة كأهل الجنوب وأهل الشمال

وقد أجمع الائمة على ان الاشتقاق من المعرب سماعى لا قياسى . فما ورد عن العرب يحفظ ويستعمل كأنه عربى ولا يجوز الاشتقاق مما لم يشتقوا منه . والمسألة مسألة نقل لا عقل (راجع الطراز المذهب وشفاء الغليل والمزهر وغيرها)

وليس لمجيزى التعريب لغير العرب حجةٌ نقليةٌ الا قولهم ان التعريب فعلته العرب ضاربين صفحا عن كونه قياسيا أو سماعيا وعن المراد بالعرب الذين يحق لهم ذلك . وقد بينا خطأ هذه الاوهام . وأكثر شبههم منشؤه الرغبة والكراهة اللذان هما أثر من أثر الوجدان المطاوع أبداً لحالة المؤثرات العرضية الوقتية ، ويتمثل أكثر شبههم فيما يأتى :

أولا ـ توحيد لسان العلم في جميع اللغات ، وفى ذلك من تقارب الامم مالا يخفى ، وكذلك فعلت أمم أوربة

ونقول إنما فعلت أمم أوربة ذلك لتقارب أصول لغاتها وهجاء حروفها ولعدم محافظتهم على لغة دين أو جنس . أمَّا ولا تقارب بين لغاتنا ولغاتهم وبين هجائنا وهجائهم ، ولنا دين لا يكون التعبد به أو فهمه الا باللغة الفصيحة ، ولنا جنس نريد أن نجمع بين شعوبه بلسان عام واحد ، فلا وجه اذاً لتوحيد لسان العلم .على أننا لو أجزنا التعريب الجديد لكنا أجرينا الكلمة على قانون لغتنا وكتبناها بحروفنا . فلا يفهم الاوربى منها الا كما يفهم العربى من لفظ (أشميت) أى احمد

و(أڤسين) فى ابن سينا و(لوكير) فى القاهرة و(جوادالكوثير) فى الوادي الكبير (وجبرولتار) فى جبل طارق . وطالما والله أتيت الى الصيدلانية من الافرنج وطلبت منهم أدوية مجهزة محافظاً على اسمها الاعجمى بقدر ما استطيع مع معرفتى بهجاء الفرنسية فى الجملة فلم أنجح كثيراً فى إفهامهم ما أريد ، لمكان النبر العربى من لسانى . وبعد فما الذي اجدى من تقارب اللغات العلمية فى أوربة ، هل أدى ذلك الى النتيجة المرتجاة وهى تقارب الامم ؟ لم يزالوا وما زالوا ولن يزالوا في شقاق مبين ، على أن هذا ليس مسلماً على اطلاقه ، بل نرى بعض ممالك أوربة المتمدينة عمل ويعمل على رجوع لغة العلم عندهم الى أصول لغتهم الجنسية وهجر الغريب

ثانيا ـ وجوب احترام التسمية التى أطلقها مخترع الشيء أو كاشفه عليه

ونقول ان هذا الجواب ليس عقلياً ولا شرعياً ولا لغويا . وان أرادوا أنه وجوب ذوقى فليس الذوق ورقة الاحساس والمجاملة مما يعتد به فى أمر احياء اللغات أو إماتتها . ويكفينا حسنَ ذوق ومجاملةً ما أفتناه من كثير حقوقنا

ثالثا ـ تحقق العجز فى نقل أسماء اصطلاحات الفنون والصناعات وأنواع النبات والحيوان والجماد التى قد تبلغ أسماء أنواع النبات منها أكثر من مائتى الف، وأكثر منها انواع الحيوان والجراثيم

ونقول ـ على فرض جواز ذلك ـ غير مسلَّم أن كل هذه الانواع لها أسماء مستقلة بذاتها مصطلح عليها ، وانما هى أنواع لها صفات توصف بها ، كما يقال : الجراد الاصفر ذو الاجنحة الرقطاء الكبير الرأس غير الجراد الاخضر الصلب الاجنحة الصغير الرأس . فهذه ليست أسماء بل شرح حقيقة مركب من أسماء أصلية واردة فى المعجمات . والا فلو كانت هذه الانواع التى تعد بمئات الالوف

لها أسماء متميزة مستقلة بذاتها فاين هو المعجم الذى يضم بين دفاته هذه المئات الالوف بل الالوف الالوف لو كان به أسماء الحيوان وغيره أيضا ، وبأى لغة هو ، وما اسم مؤلفه او مؤلفيه ؟ ماسمعنا بمعجم جمع أكثر من خمسين الف كلمة فى غير اللغة العربية

اذن فالمعقول ان اللازم للغة العلم لايزيد على خمسة عشر الف كلمة أوعشرين الف توضع كل الف منها فى نحو سنة

رابعا ـ صعوبة ترجمة كثير من الاسماء المفردة الدالة على معان متعددة بلفظ واحد عربى يؤدى معناها بالضبط مثل (التيليفوجراف) ومعناها التصوير الشمسى عن بعد و (الفوتوليتوجراف) ومعناها التصوير بالشمس على مطبعة حجر

ونقول ان هذه الاعجمية المركبة من تحت عدة كلمات لاتينية ويونانية لايفهمها الاوربى نفسه بمعناها الصحيح الا بالعرف والمواضعة . فنحن لو وضعنا كلمة مفردة فيها بعض المناسبة لهذه المعانى واصطلحنا عرفا على اطلاقها على هذا المسمى لأدت المعنى بحذافيره . والسر فى الدلالة للعرف لالجوهر الاسم ، ومع ذلك فاضطرت معرفة مصادر هذه الاسماء الاوربيين ان يدخلوا في مدارسهم تعليم اللاتينية واليونانية ، فهل يراد بنا ان ندخل في مدارسنا تعليم اللاتينية واليونانية لنفقه أوجه دلالة هذه الالفاظ ، ونحن الى الآن لايقرأ ويكتب منا أكثر من ثمانية في المئة ؟

خامسا ـ قصور لغتنا عن تأدية المعانى التي لها نظام خاص يعلم به نوعها أو جنسها أو فصلها أو رتبتها أو تركيبها لانها لغة زوائد ، ولغة القوم لها زوائد تدل على هذه الفروق مثل : كلورود ـ كلورات ـ كلورايدريك الخ

ونقول غير مسلم ان كل هذه الزوائد تدل على الفروق بالوضع اللغوي الاصلي

وانما جاءت دلالتها بطريق العرف والاصطلاح . فنحن لو وضعنا بعض الحروف ذات المعاني كياء النسب مثلا او الكلمات الصغيرة سابقة للاسم او لاحقة وتعارفنا عليها لافادت تلك المعاني لامحالة . هذا والوفاق في هذه الاسماء لم يراعَ بالضبط عند جميع أمم أوربا ، بل هم مختلفون فيها اختلافهم في الملل والسياسة

سادسا ـ شيوع الاسماء الاعجمية بين العامة وهم السواد الاعظم وكثير من الخاصة ، وتعذّر ارجاعهم عنها الى الفاظ عربية فصيحة

ونقول: أما العامة فلهم لغة خاصة بهم وموضوعنا لغة القراءة والكتابة ، فمتى تعلّم العامة القراءة والكتابة تعلموا الالفاظ الصحيحة . وبعد فنحن لا نزال على ابواب العلم ولم يذع بيننا الا الفاظ قد لا تزيد على خمسمائة أو الف ، وهو عدد يسيرٌ ازاء مانستقبله من ترجمة عشرات الالوف من الكلمات الاعجمية

أما أدلتنا غير النقلية على وجوب الابتعاد عن التعريب فمنها :

اولا ـ المحافظة على سلامة اللغة من فشو الاعجمي فيها لان التساهل في أمره يفضي الى تولد لغة اخرى كما وقع في اللغة المالطية والجزائرية التي أوشكت أن تلحقها . وليست العامية الا عربية تسوهل في ضبطها وقبول الاعجمي بها فانسلخت من جنسها

ثانيا ـ المحافظة على سلامة فهم القرآن والحديث الكريمين ، وهما كل الدين ، اذ لو تساهلنا وأدخلنا من الاسماء نحو عشرين أو ثلاثين ألف كلمة (ولا أقول مئات الالوف كما يقول بعضهم) وعلمنا أن الحي المستعمل من الفصيحة لا يزيد على هذا العدد لاصبح نصف لغتنا فصيحا ونصفها أعجمياً أو بالحري تصبح لغتنا مالطية او شبيهة بها ولاختلط الامر واثر الفساد في حالة مدارسة القرآن وكتب السنة واستغلق علينا فهمها (لاقدر الله)

ثالثا - المحافظة على البقية الباقية من ميزات جنسنا العربى . اذ لا تكون جامعة جنسية بغير اللسان العام الذى يتفاهم به الجميع على السواء . فلو تساهلنا نحن المصريين فى استعمال الفاظ أعجمية تناسب بيئتنا وحالنا وتساهل غيرنا من الامم العربية بما يناسبه لانفصمت بعد حين عرا الجنسية العربية واصبح لكل شعب عربي لسان خاص يقرأ أو يكتب به كما حصل بين شعوب اللاتين والصقلب والتوتون ، فلما آن عليهم الحين للاستعانة بالجامعات الجنسية فى الازمان الحاضرة بقيت اللغات عقبة كئوداً فى وجوه المنادين بها لاعتقاد العامة أن اختلاف اللغة من اختلاف الجنس . فمن الخرق أن نفكك أوصالنا ، ونشتت شملنا ، فى الوقت الذى تريد فيه الامم الحية أن تلم شعثها وتوحد شعوبها

رابعا — توسيع نطاق العربية وجعلها لغة علم وصناعة ، اذ ينقلنا كثيراً من الاسماء العربية المهجورة لمعانٍ اصطلاحية نكون قد زدنا فى مدلولات اللغة والفاظها شيئاً كثيراً ، وفى ذلك خير حياة للامة

خامسا — عدم الاستفادة من المعرَّب بعد صبه فى القالب العربى ، فلا الاوربى يفهمه ، ولا يتيسر لنا به التقرب المزعوم اليه . اذن وجب علينا أن نعتمد على الله ونشرع فى وضع كلمات للمسميات الحديثة ، ويراعى الاهتمام ابتداء بالكلمات الشهيرة الاستعمال فى مبادىء العلوم والصناعات ثم بالتى تليها فى المرتبة وهكذا . والله الموفق

احمد الاسكندرى

﴿ مفتاح الاستقلال ﴾

اذا استُعبِدتْ أمةٌ ففى يدِها مفتاح حبسها ما احتفظت بلُغتها

حكيم

ليلة ساهر

يتألم من الحياة

فى غرفتى ـ والطيرُ فى وَكرِهِ ـ
صبيَّة أبكى وتبكى معى . . .
أبكى لأمر لم يسِلْ دمعُها
عليه ، بل سال على أدمعى . . .

* * *

خمسة أبواب يذود الكَرَى . . عن ناظرى منهـا هبوبُ النسيمْ
لم أدرِ ما أرَّق جَفنى بهـا : ذكرَى حبيب ، أم فؤادٌ كليم
لا بل صُعود فيكِ يا أُمَّتى ينحطُّ عن مجرَى عُلاه السَّديم
هيهاتَ ! لو كنتِ بعزٍّ لما بِتُّ وطرفى بين جَفنَىْ سليم
كأنَّ قلبى ووِسادى ـ لِما باتا خَفوقَيْن ـ جناحا ظليم

فيا حمامَ الأيْك ! أبكيتنى
شَجْواً بما أودعتَه مسمعى
بالله رَجِّعْ لى ، فعهدُ الصِّبا
ولَّى ، فان رجَّعت لى يرجعِ

* * *

فى بلد قام النفاقُ على ساقٍ بها خدنَ فسادٍ فسادْ
أجملْ بها جنة عدنٍ لمن أنرى ، وللمُعْدِم بئس المهاد
كم شائب بالغدر صِدقَ الوفا فيها ، وبالخدعة محض الوداد
يبذل ـ حبَّ المال ، حبَّ الغِنى ـ طارفَ مجد ناله أو تلاد

سُوق تجار الجهل فيه إلى ربحٍ ، وتجر العلم فيه كساد
يا وطني ما أنت راقٍ وذى
عاصمة فيك الا فاريع
واين منى وطن صُمَّ عن
قولي فلم يبصر ولم يسمع

* * *

فى المهد طفل عن يميني بَكى مكتحلاً لكن بميل السَّهَدْ
يبغمُ والدمعُ مجيبٌ ... له إن جفَّ عن ذائب قلبي مدد
الله الجوع ولا مشفقٌ ... غير أبٍ بادٍ عليه الكمد
واين « ماما » ولدى نادباً « ماما » وقد اخنى عليها لُبد
بُنيَّ صبراً - وبغوم قضت ايّمه - كيف يؤم الجلد
هاك لساني كبدي مُصَّه
وعَلِّل النفسَ به واهجع
سوف ترى بعد غدٍ أو غداً
أمُّك مطويَّيْن فى مضجع

* * *

أنا

على سريرى وأمامى على مائدة ضوءٌ وأخرى كتابْ
إحرقُ نفسى كسراجى لكى أنفع قومى ، وعلىّ العتاب
وكتابى خاطرى ملؤه جواهرٌ هن اللباب اللباب
أقرأ فيه نهضات الأُلى جاءوا المعالى من طريق السحاب
آباؤنا سَلْ عن مناطيدهم يريك بحراها العجابَ العجاب

واسـأل بنا هل بين أكبـادنا
قلوب تلك الأُسْـد لم تودعِ
حتى ضللنـا منهجاً أذكوا
عليه شـأوَ المنزلِ الارفعِ

* * *

فوقَ مرآةٌ الى جنبهـا رسمىَ محفوفاً بريحـانِ . . .
يا رسم كم تاجرت حب العـلى بالدر لم تحفـل بخسران . . .
لولم تحـم ظمئىُ القوافى على فيك لـما سميت « حومانى »
أنبـأتنـا أن طريق العـلى سُدّتْ ، فهـل جئت ببرهان
لم تعـدُ ـ لو ينطق رسم ـ بنـا عمـائماً نيطت بتيجان . . .
بلاؤنا من ملك غاشـم
أو عالم يجهـل ما يدّعى . . .
هـذا رمانا بالرزايا ، وذا
حكّم فينا ربّة البرقعِ . . .

* * *

تلقـاء رسمى رسمُ خَود بكت عينى بمـا عن مثـله تبسمُ
قد أنطقت جفنى على زندها أسـورةٌ أخرسهـا المعصم
تجـلو على وجنتهـا وردة فى كـل يوم بِفـمٍ تلثـم
أختـك ، أم بنتك ، هـذى التى تبرّجت يا أيهـا المسلمُ
لا بَل هى الزوج وما أجرمت وإنمـا أنت الذي تجـرم

اليـكِ عنى ، لستُ ممن يرى
أن تتركى الصونَ وأن تخلعى

فى القلب منى غلل جمةٌ
لكن بغير الصون لم تنقع

* * *

وراء شباكىَ فى روضة . . . وردٌ وريحان وعطر (وفُلّ)
يجتاز بى مرّ الصَّبا حاملاً من عرفها ، الله ماذا حمل
يمنع جفنى أن يذوق الكرى ما أولع الزهر بسهد المقل
من لى بخلٍّ أحتسى من صفا وداده الصادق نهلاً وعلّ
يشفُّ من رقة طبع به عن ذلك الزهر منديّ بطل

يجتاز واشىّ به قائلاً
أودعت قولى أذناً لا تعى
ذيالك الخل الذى قرّحت
جفنى عليه فى الدجى أدمعى

* * *

كساعيي فوقَ قلبي وهل أقرُّ ما بين عديَّ قرار . . .
منتحبَيْن يقطعان الدُّجَى علىّ ندباً وكذاك النهار . . .
رفقاً سميرَىَّ بميت قضى أوكاد يقضى وهو عَفُّ الازار . .
لم يصمه ـ والحب يصمى الحشا ـ من لحظ ريم غنجٌ وحوراء . .
كلا ولا أنطق اجفانه . . . زند يد يخرس فيه السوار . .

وإنما حب المعالى بكى
وبات فيها دامىَ الادمع
هبّ لها غير معانٍ وهل . . .
يُجنى جنىُّ النحل بالاصبع

جبل عامل الحوماني

ملاحظات

على مقال « المعزّ بن باديس »

قرأت محاضرة العلاّمة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندى المنشورة فى مجلتكم الزاهرة[١] عن المعزّ بن باديس الصنهاجي والفاطميين فأعجبت باسلوبها الرائق ولغتها الفصحى الاّ انى لاحظت أن بعض الأعلام قد اعتورها التحريف كما أنّ بعض الحقائق التاريخية قد أصابها رشاشة من التغيير فأحببت ان ابعث اليكم بملاحظاتي القاصرة على ذلك :

١ : قال الاستاذ فى صفحة ٩٢ « ان المعزّ احرق بنود المستنصر ومحا اسمه من الطُرَر والسكّة » ولم يأتِ ذكر للطرر فيما قرأناه الى الآن من كتب التاريخ بل ان الذى ذُكر مقروناً بالسكّة هو الطراز وان تقارب معناهما لغةً ولكن موضوعنا موضوع اصطلاح

٢ : قال فى ص ٩٤ « ان الوزير الحسن البازورى » بالباء الموحدة والصواب البازورى نسبة الى قرية يازور من قرى الرملة بفلسطين وقد ذكره ابن خلدون مرة (البارزى)[٢] وأخرى (النازورى)[٣] وكلاهما خطأ

٣ : وفى ص ٩٤ أيضاً انه لا يجد وجهاً لقطع الخطبة فى سنة ٤٤٣ هـ كما نقله ابن خلكان فى ترجمة المستنصر بالله العبيدى ويرجّح ان يكون ذلك قد تم سنة ٤٤٠ كما قاله ابن خلدون وابن ناجي أو سنة ٤٣٥ كما اتفق عليه رجال التاريخ فى القيروان وابن الاثير الذي ذكر الحادث فى عداد حوادث ٤٣٥ و ٤٤٠ وقد زاد المحاضر على ذلك فى الحاشية ان عبارة ابن خلكان عن قطع خطبة الفاطميين

(١) الزهراء م ١ ج ٢ (٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٥٥
(٣) ابن خلدون ج ٣ ص ٦٢ و ٦٣

فى الحرمين الشريفين توهم بوقوع ذلك سنة ٤١٩

والذي نعرفه من أمر الخلاف بين المعزّ والفاطميين انه لم ينجم وتستحكم حلقاته الا بعد سنة ٤٤٢ لما ولي الوزارة الحسن اليازوري واخذ المعزّ ينتقص من قدره فيما يكتبه له وقد روى لنا ذلك ابن منجب الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ بتفصيل واف فقال في ترجمة اليازوري الذي وزر سنة ٤٤٢ ما يلي [١] :

« ووفاه ملوك الاطراف فى المكاتبة حقه من الرياسة ما خلا معز بن باديس الصنهاجي فأنه قصّر به فى المكاتبة عما كان يكاتب به من تقدمه من الوزراء فكان يكاتب كلاً منهم (بعبدهِ) فجعل يكاتبه بصنيعته فاستدعى نائبه وعتبهُ عندهُ عتباً جميلا فكاتبه النائب فما رجع فتوصّل اليازوري الى أخذ سكينةٍ من دواته ودعى النائب فقال له قد تلطّفنا فى اخذ السكين ولو شئنا لتلطفنا فى ذبحه بها ودفعها اليه فانفذها وكتب بذلك فأطلق لسانه فيه فدسّ اليه من اخذ نعله فلمّا وصلت احضر النائب واعلمه ما ينتهي اليه من جهلهِ وقال اكتب الى هذا البربري الاحمق وقُل له : ان عقلت واحسنت ادبك والا جعلنا تأديبك بهذهِ فكتب اليه فجرى على عادته فى هجر القول فبعث الى زغبة ورياح خلعاً سنية وانعاماً كثيراً وعقد بينهما صلحاً وحملهما على منابذتهِ وابلاحهما ديارهُ فضيقوا خناقه الى ان اشرف على التلاف واعمل الحيلة حتى تخلص من القيروان ووصل الى المهدية واسلم حرمه وداره وغلمانه فقتل الرجال وسبى النسوان ونهب ما كان فى داره ووصل كثير من المنهوب من الاسلحة والعدد والخيام الى المعزية القاهرة » اهـ

وقد أيّد هذا القول وأكده ابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ فى حوادث سنة ٤٤٣ فقال [٢] :

(١) الاشارة الى من نال الوزارة ص ٤٢ (٢) اخبار مصر ص ٥

« فيها أظهر المعزّ بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية الخلاف على المستنصر وسيّر رسولا الى بغداد ليقيم الدّعوة العباسية واستدعى الشريف فأجيب إلى ذلك وجُهّزَ اليه على يد رسول يُعرف بأبي غالب الشيرازي عهدٌ بالولاية ولواء أسود وخلعة فمرّ ببلاد الروم ليعدّي منها إلى افريقية فقبض عليه صاحب الروم وشيّعه للمستنصر فدخل على جملٍ وهو مجرّس وأحرق العهد واللواء والهدية في حُفرة بين القصرين وكان القادر قد فعل مع الظاهر والد المستنصر مثل ذلك بالخلعة التي سيّرها على يد رسوله محمد بن محمود سُبكتكين ثم بعد ذلك أعاد المستنصر الرسول لصاحب قسطنطينيه . وكان سبب عصيان ابن باديس تقصيره في المكاتبة للوزير اليازوري فسيّر اليه وتلطّف به أن يكاتبه بما جرت العادة به الخ . »

نحن لا ننكر ادعاء بعض المؤرخين بأن المعزّ قد خلع طاعة الفاطميين وناوأهم العداء منذ سنة ٤٣٥ فقد روى لنا ذلك ابن الاثير [١] المتوفى سنة ٦٣٠ ونقل مثله صديقنا العلاّمة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب التونسي [٢] عن مؤرخي القيروان ولا نستبعد أن يكون قد قطع خطبتهم من على المنابر وخطب للعباسيين في سنة ٤٤٠ ولكنا نستنكر وجود نائب عنه في عاصمة الفاطميين واستمراره على مراسلة وزيرهم في حدود سنة ٤٤٣ وبقاء الصلات السياسية بين المملكتين دون أن يعكر صفوها معكر مع وجود تلك الاعمال التي لا يمكن للفاطميين أن يغضوا الطرف عنها وهي ترمي الى استئصال شأفتهم من مهد ظهورهم . ولذلك نرجّح مانقله ابن خلكان عن قطع الخطبة في السنة التي دارت فيها رحى الحرب بين المعزّ وخصومه . وأنت ترى ان ابن خلكان لم ينفرد بهذا الادعاء بل سبقه اليه ابن الصيرفي وابن ميسر وهما من مؤرخي مصر (وصاحب البيت أدرى بالذي فيه)

(١) كامل التواريخ ج ٩ ص ١٨٠

(٢) بساط العتيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ص ٤٤

أما قوله عن التوهم فى عبارة ابن خلكان بشأن قطع الخطبة فى الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدى فقد علق عليها بما عبارته [1] « وقوله وفى سنة تسع أي بعد الستين والسبعين لان المقتدي كان فى تلك المدة . قاله نصر » والبون بين القولين شاسع .

٤ : قال الاستاذ فى ص ٩٣ إن الحاكم المتوذد للمعز كان قد تُوُفى وخلفه المستنصر مع أن الذي خَلَف الحاكم هو ابنه الظاهر لاعزاز دين الله وقد أقام بالخلافة من سنة ٤١١ الى ٤٢٧ وفيها توفى فاستُخلف بعده المستنصر

هذا ما أردنا تعليقه على أقوال الاستاذ الهندى ولنا كلمة نعلق بها على ماذكره الاستاذ التونسى فقد قال ان الوزير الذى دبر مكيدة الانتقام من المعز هو أحمد ابن علي الجرجائى (وصوابه الجرجرائى) وزير المنتصر بالله (وصوابه المستنصر بالله) عند مابلغ الامر مصر بوصول تقليد الاستقلال من الخليفة العباسى الى المعز سنة ٤٣٩ فى حين ان الجرجرائى كان قد توفى سنة ٤٣٦ أي قبل حادثة الاستقلال بثلاث سنين

فيتضح مما مرّ بنا ان مؤرخي القيروان قد وهموا فى تعيين اسم الخليفة والوزير بعكس مؤرخي مصر فقد كشفوا لنا الغطاء عن الحقيقة

ولا بد لنا من الإشارة والتنبيه الى أن تواريخ الدولة الفاطمية الشيعية لم تصل الينا جميعها وما وصل الينا منها كان مبتوراً مشوّهاً والذين عاصروهم من مؤرخي أهل السنة والجماعة أو الذين رافقوا الفتح الصلاحي أو الذين جاءوا من بعدهم من المؤرخين كانوا يقلبون حسناتهم سيئات بسبب ادعائهم الخلافة فى حين ان الخلافة العباسية كانت قائمة فى بغداد . ولذلك وجب على الناقد البصير أن يمعن الفكر وينعم النظر قبل الحكم فى مثل هذه الامور

بيت المقدس عبد الله مخلص

(١) وفيات الاعيان طبعة أميرية سنة ١٢٩٩ ج ٢ ص ١٣٦

صفحة من التاريخ

كيف امتازت الاباضية عن الخوارج ؟

المُحكّمة ، وهم الذين أبوا التحكيم في واقعة صِفّين ، كانوا قسما واحداً ، وفرقة متحدة ، إلى ان حصلت واقعة النَّهْرَوان . ثم ظهر بعد ذلك فريق يستبيح الدماء والاموال والسبي وكان برياسة نافع بن الأزرق ، فأعمل السيف والنهب ، وحكمهُ على من خالفهم كفر الشرك ، لا فرق في الحكم بين المكلّف وغيره ، يستدلون لذلك بقول الله تعالى « وان أطعتموهم إنكم لمشركون » . قالوا : ان أطعتموهم فى أكل الميتة انكم لمشركون ، فأثبتوا بهذا ان الكبيرة شرك ، سواء أكانت خللاً فى الاعتقاد أو فى العمل ، والشرك مبيح للدم . واستدلوا على كفر الاطفال أيضاً بقوله تعالى حكايةً عن نوح عليه السلام « رَبِّ لا تَذَر على الارض من الكافرين دَيّارا . إنك ان تَذَرْهم يُضِلُّوا عبادَك ولا يَلِدوا إلا فاجراً كَفّارا »

رسخت هذه العقيدة فى قلوبهم واستماتوا فى سبيلها وتطبيقها على من عداهم ، فكان ما كان من الخَطْب الجَلَل . والظاهر أن أمر هذا الفريق كان يتكوّن تحت الخفاء قبيل واقعة النهروان ؛ فقد روي أن مسعر بن فَدَكي خرج من البصرة فى عصابة ، فمرّوا على قرية فيها عبد الله بن خَبّاب بن الارَتّ [1] رضى الله عنه ، فأخبره مسعرٌ بالتحكيم ، فقال له عبد الله بن خبّاب :

— ان أبى أوصانى اذا وقعت الفتنة أن ألزم بيتي

فقال له مسعر : — ان الله أوصانا بغير ما أوصاك به أبوك فقال « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة »

---

(١) أبو عبد الله خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمى من السابقين فى الاسلام شهد بدراً ثم نزل الكوفة ومات سنة ٣٧ هـ .

فقتلوا ابن خباب وبلغوا النهروان، فتبرأ أهل النهروان من مسعر وأصحابه، وهمّوا بقتله، ففرّ منهم هو وأصحابه

وقد تفرّع من الأزارقة فرق الصفرية والنجدية ومن نحانحوهم، وعقيدة الجميع واحدة وهي الحكم بكفر الشرك على من خالفهم

حينئذ ظهر الامام الاعظم أبو الشعثاء جابر بن زيد أحد كبار فقهاء التابعين، وصاحبُه الامام عبد الله بن إباض المرّي التميمي وأصحابهما، ناقمين على الازارقة، ووقعت لكلٍّ من الامامين مناظرات كثيرة معهم. منها أن أبا الشعثاء أتى الخوارج يوماً فقال لهم:

— أليس قد حرّم الله دماء المسلمين بدين؟

فقالوا: — نعم

فقال: — وحرّم الله البراءة منهم بدين

فقالوا: — نعم

فقال: — أو ليس قد أحلّ الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين؟

فقالوا: — بلى

فقال: — وحرّم الله ولايتهم بدين بعد الامر بها بدين

فقالوا: — نعم

فقال: — هل أحلّ ما بعد هذا بدين؟

فسكتوا

وكان أبو الشعثاء الملجأ الاكبر للاباضية، والطودَ الاشمّ. وهو الذي يصدرون عنه في أمورهم وأخذ عنه خلقٌ كثير: منهم من بقي بالبصرة وغيرها تحت نفوذ بني أمية [1]. ومنهم من خرج الى عُمان، وانتشر بهم العلم في الاقطار التي نزلوها

(١) ربما أطلق الخوارج على الاباضية اسم «القعدة»، لانهم خالفوهم في قتال أهل التوحيد وان شاركوهم في انكار المنكر

وممن رأس بعد أبي الشعثاء أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وعنه أخذ حملةُ العلم الذين جاءوا الى المغرب بعد الداعية الاكبر سلمة بن سعد

وانما انتسبت الاباضية ـ وهم الذين نريد ذكر موجز من تاريخهم ـ الى عبد الله بن إباض تمييزاً ، لما اختص به هذا الامام من قوة الحجة ، والعزّة والمنعة في قومه

وقد جرت بين الامام عبدالله بن إباض وبين عبد الملك بن مروان مكاتبات فيما نقم هو وأصحابه على بني أمية . وكان كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك

وكان عبد الله بن إباض يصدر في أمره عن أبي الشعثاء جابر بن زيد وهو بالبصرة وفيها اذ ذاك أصحابه أئمة العلم والدين : كضمام بن السائب ، وحاجب الأزدي ، وقتادة ، والحسن البصري ، وأبي بلال مرداس ، وصحار بن العباس العبدي [1] ، والاحنف بن قيس ، وإياس بن معاوية ، وأبي عبيدة مسلم ، وأضرابهم

فالاباضية لا يحرّمون التناكح بينهم وبين غيرهم من أهل القبلة ، ولا الدفن في مقابرهم ، ولا يكفّرون شركا أهل الكبائر العملية ، بخلاف الخوارج . ولذا كان من المقرّر عندهم وجوب الفرق بين الكبائر : كبائر الشرك ، وكبائر الفسق وتسمى عندهم بكبائر النفاق . وعندهم ان التوحيد عاصم للدم والمال الا بحقهما

ولما اشتدت وطأة بني أمية فسفكوا الدماء بالبصرة توطيداً لنفوذهم في الامة ، وتوحيداً لسلطانهم ، بواسطة عاملهم الحجاج بن يوسف انحاز معظم الاباضية المحقة الى عُمان فكان بها سلطانهم وشوكتهم

وقد وقعت بينهم وبين بني أمية وقائع ، لان من شعار بني أمية اتخاذ كل وسيلة لتعميم نفوذهم في جميع أقطار الاسلام وشعوبه ، وكانت الحرب بينهم

(١) كان من النسابين وله تأليف في (أمثال العرب)

صجالا ، انتهت لبني امية الى زمن أبى العباس السفاح ، فاسترجع الاباضية استقلالهم ، ونصبوا الائمة فى عُمان يقيمون الحدود ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد أقاموا فيها منار العدل ، فكانت تلك الفترات القليلة التي تغلّب فيها بنو امية حلقة صغيرة انقطعت من سلسلة استقلال الاباضية بعمان ، إلى أن بايعوا الجَلَنْدَى بن مسعود بن جيفر بن جلندَى ، وهو آخر بني الجلندى ابن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عزّ بن معولة بن شمس ملوك عُمان بعد أولاد مالك بن فَهم . ولم يزل عمان بيد أهله الى يومنا هذا

وفى مدّة الجلندَى هرب الى عُمان شيبان الخارجى ـ إمام الصفْرية ـ من أبى العباس السفّاح ، ولما انتهى الى عمان أخرج اليه الامامُ الجلندى هلالَ بن عطية الخراسانى فى قوة من الجند وفيهم يحيى بن نجيح — وكان من خيار المسلمين مشهوراً بالفضل والصلاح — فدعا بدعوة أنصفَ فيها الفريقين حين تَصافّا ، قال :

« اللهم ان كنتَ تعلم أنّا على الدين الذى ترضاه ، والحق الذى نحبُّ ان نؤتَى به ، فاجعلنى أوّلَ قتيل من أصحابى ، ثم اجعل شيبان أوّلَ قتيل من أصحابه واجعل الدائرة على أصحابه . وان كنتَ تعلم أن شيبان وأصحابه على الدِّين الذى ترضاه والحق الذى نحبُّ ان نؤتى به ، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه »

فأمَّن الفريقان . ثم زحف بعضهم الى بعض ، فكان أولَ قتيل من المسلمين يحيى بن نجيح ، وشيبانُ أولَ قتيل من أصحابه ؛ فتمكن الاباضية من أصحابه ، واستولوا عليهم ، فكان ذلك آخر أمرهم ولم تقم لهم قائمة ، ولا بقيت للصفرية بقية منذ ذلك اليوم على مايظهر

القاهرة أبو اسحاق : ابراهيم الطفيش

قال معاوية لصُحار العبدي : ما هذه البلاغة التى فيكم ؟

قال : — شيء تجيش به صدورنا ، فتقذفه على ألسنتنا

البيان والتبيين ١ ٥٣ و ٣ : ٢٠٦

الحسين بن علي

— كما رأيته في ثلاث سنوات —

كيف اعتلى ، ولماذا فشل ؟

من مشاهداتي بين شوال ١٣٣٤ — وشعبان ١٣٣٧

بعث مستر رانيك من جدة الى جريدة ديلي كرونيكل يوم ١٣ ربيع الاول يقول : ان الحسين بن علي الذي كان يطمع في بسط سلطانه من الخليج الفارسي الى البحر المتوسط ومن بغداد الى عدن أصبح يأوي الآن في جدة الى منزل مؤقت قذر حقير غير مستجمع لوسائل الراحة . وقد تخلى عنه كل أنيس ، سوى قليل من العبيد . وهو يأبى أن يقابل أحداً

وقد تلقى أمس كتاباً من جميع وجهاء جدة يطلبون اليه أن يرحل عن بلدهم في الحال . ولم يمتر بعد على محل لمنفاه ، فقد رفضت بلدان كثيرة أن يلتجيء اليها

لولا موضع العبرة من هذا الحادث في تاريخ الأمة العربية لما حركتُ القلم لاعلان ما اختبرته بنفسي من أحوال ملك الحجاز السابق ، ودواعي قيامه ، وحكمة الله تعالى في وصوله الى النتيجة التي اشار اليها مراسل ديلي كرونيكل ، لأني أردتُ منذ رجعت من الحجاز أن أختص التاريخ بما علمته عن الحركة الحجازية ، والتاريخُ يُكتب عادةً بعد انقضاء زمن حوادثه ، ليكون مجرَّداً من تأثير العواطف عليه . وانما تشجعت على نشر هذا المقال بعد أن أحجمت لأن الدور الذي أحوم الآن حول ذكراه أصبح في ذمة التاريخ ، والتاريخ يستمدّ حكمه على الحوادث من مثل هذه المصادر بعد تمحيصها ومعارضة بعضها ببعض

﴿ الحسين بن علي قبل قيامه على الاتحاديين ﴾

تولى الشريف حسين باشا إمارة مكة على أثر اعلان الدستور العثماني، وجاء من الاستانة الى مكة وهو لا يقول بالقوانين الدستورية . وقد رسم لنفسه وهو فى إمارة الحجاز خطة أساسية ، وهي أن يستعين بقوة الدولة العثمانية على خضد شوكة جيرانه أمراء الاقطار العربية الاخرى، ولاسيما السيد الادريسى والامام ابن سعود ليقنع الاستانة باخلاصه لها، وليوسع نطاق إمارته بعصا الترك ، وليجعل لنفسه هيبة بين القبائل

ولاحت له مرة فرصة اختلاف المرحوم السيد الادريسى مع سليمان شفيق باشا قائد الترك في عسير والمتصرف في تلك المقاطعة ، وكان قد أدى هـذا الاختلاف بينهما الى قتال انتهى بتغلب الادريسي على قوة الدولة ومحاصرته سليمان شفيق باشا داخل مدينة (أبهـا) ، وكان الامام يحيى أيضاً قد حاصر الترك في (صنعاء) ، ولم يكن من الميسور للترك أن يصلوا الى أبها لأن الادريسي احتل جميع المراكز العسكرية بينها وبين الساحل . فعرض الشريف حسين باشـا على الباب العالي أن يساعد الدولة على السيد الادريسي ، وطلب منها أن تمدّه بالمال والسلاح والرجال ، فأجابته الى ذلك ، وقاد حملة من الترك والعرب قاتل بهـا الادريسي ، وفك الحصار عن سليمان باشا ، وطالمـا قال لنا ولغيرنا : أنا قاتلت العرب بالعرب . . .

إن الاتحاديين لم يحفظوا للشريف حسين باشا هذا الجميل ، بل كانت لهم هم أيضاً خطة في الحجاز يترقبون الفرص لتنفيذها ، وهي أن يزيلوا إمارة الاشراف نهائياً ويجعلوا البلاد ولاية تدار بما يشبه إدارة المستعمرات . وقد كانت المكاتبات البريدية والبرقية دائرة في هـذا الشأن عام ١٩١٣ — ١٩١٤ بين وهيب بك والي الحجاز وقائدها وبين وزيري الحربية والداخلية فى الاستانة . وعندي نص

التلغراف الذي أرسله وهيب بك إلى هاتين الوزارتين باللغة التركية يوم ٧ مارت سنة ١٣٣٠ (٢٠ مارس سنة ١٩١٤) [١] ومما جاء فيه « إن الشريف مقتنع بعزمنا على ازالته عن مركزه عاجلاً أو آجلاً » . بل ان وهيب بك لما عزم على المجيء الى الحجاز كان يجتمع بالشريف حيدر باشا والشريف جعفر باشا ابني الشريف جابر بك ابن الشريف عبد المطلب (من ذوي زيد) وهو الذي سقط أيام دخول الوهابيين الى مكة قبل ١٢٠ سنة وانتقلت امارة مكة بعد ذلك الى ذوي عون الذين منهم الحسين بن علي ، وقد استعان وهيب بك بآراء هذين الشريفين ليقف على الطرق التي يتوصل بها الى تحقيق الخطة الاتحادية في الحجاز . وعندي نص كتاب مطوّل أرسله الشريف جعفر باشا من الاستانة الى وهيب بك في مكة باللغة التركية بهذا المعنى ، وقد نقلته من خط الشريف جعفر نفسه . والظاهر أن وهيب بك كاد يُقنع الاستانة بأن الوقت حان لتجريد حملة على الشريف حسين باشا تأخذه بغتة ، لولا أن محمود باشا جوروك صولي — صديق الشريف حسين — استعمل كل نفوذه في اقناع الباب العالي بأن ضرر هذا العمل يغلب على مايرجى من فائدته

وكان للشريف حسين جواسيس فى ادارة البريد والبرق بمكة وفى دار الحكومة تقف له على مايرسمه وهيب بك من الخطط وما يكتب به الى الاستانة ، كما أن لوهيب بك مثل هؤلاء عند الشريف يأتونه بأخباره [٢]

وما برح الشريف والاتحاديون يسيء كل منهما ظنه بالآخر حتى أعلنت

---

(١) نقلت هذا التلغراف ومستندات أخرى كثيرة فى هذا الباب من أمين افندي وكيل الاوقاف وناظر الحرم الشريف بمكة . وهو من أفاضل الترك الواقفين على حقائق علاقات الشريف حسين بالاتحاديين

(٢) ولما سافر وهيب بك الى الاستانة بطريق جدة أرسل الشريف قوة من رجال القبائل استولت على أمتعته في الطريق وجاءته بما يحمله وهيب بك من الاوراق فعرف منها أشياء كثيرة كان يهمه معرفتها

الحرب ، وصارت الحجاز تابعة لقيادة الجيش الرابع فى دمشق ، وقد نيطت أمور ذلك الجيش بجمال باشا الذي أساء الى الترك والى العرب معاً بالخطة التي سار عليها فى بلاد الشام ؛ فأيقن الشريف حسين باشا يومئذ أن الترك ماضون فى تنفيذ خطتهم المرسومة لا محالة ، لذلك عزم على أن يسبقهم فى المفاجأة ، فأعلن انتقاضه عليهم باسم العرب فى الظاهر ، وهو انما فعل ذلك لأجل كرسيه فى الحقيقة

﴿ الحسين بن علي والقومية العربية ﴾

القومية العربية — مثل كل قومية أخرى على وجه الأرض — لها مطمح يسعى المتنورون من أبنائها بخطوات حكيمة للوصول اليه فى وقته المرهون ، ولا يبالون أن يكون ذلك بعد عشرات السنين أو أكثر من ذلك . ولا ريب ان من يقف على تفاصيل عملهم يحمدهم عليه سواء كان موافقاً لهم أو مخالفاً . ومن المسلَّم به أن لكل أمة حقّها فى الحياة ، والناطقون بالضاد من أجدر الأمم بأن يجددوا شباب حياتهم الاجتماعية ، لان فى ذلك إحياء للحضارة الاسلامية ، ونهوضاً للشرق الاسلامي كله . وكان العرب العثمانيون يحسبون أن فى الامكان تحقيق مطالبهم من التقدم والنهوض مع بقائهم عثمانيين ؛ ولكن الاتحاديين كانوا يسيئون الظن فى كل حركة حيوية يبديها العرب أو الارنؤوط أو الكرد أو الشركس أو غيرهم ، فيصمونها بالخيانة ، ويقمعونها بالقوة والارهاب

ومن سوء حظ القومية العربية أن الحوادث الطائشة جعلت تسابق الخطوات الحكيمة التى كان يخطوها رجال النهضة العربية : فبينما هم يعملون على ترقية شعوبهم بالمعارف والتهذيب ، ويحاولون تعريف بنى قومهم بما لهم من الحقوق وبما عليهم من الواجبات ؛ فوجئوا بنشوب الحرب الكونية ، ثم بدخول تركيا فيها وكانوا يرون المصلحة فى أن تقف أمام دول أوربا المتطاحنة وقفة المتفرج ، ثم جبهتهم

حركةُ العدوان من جمال باشا فى سورية بما لم يسبق له نظير فى حكومة مدنيَّة ، ثم رأوا أنفسهم أمام أمر واقع بالحركة الحجازية التى قامت باسم استقلال العرب ، فلم يكن لشبابهم بدٌّ من خوض غمارها ، حتى كان الضابط من ضباطهم يبلغه خبر هذه الحركة وهو يقاتل مع الترك فى ميادين روسيا ، فيلبى الدعوة من وراء تلك الفيافى والقفار ، ويسير الشهر والشهرين قاصداً الحجاز ليعمل فى تكوين بناء الاستقلال لقوميته

الحقُّ أن الملك حسيناً لقى كل المواد التى تبنى الممالك بهـا من رجال وأموال وأحوال ، فأساء استعمال ذلك كله ، وأضاع الفرص السانحة له ، كما سنشير الى ذلك بعد

ان الغاية التى قام الملك حسين لاجلها هي الاحتفاظ بالكرسي الذي كان مهدداً من الاتحاديين باسقاطه ، فلم يستطع ادراك المغزى العظيم الذي كان تاريخ القومية العربية والحضارة الاسلامية يهتف به للحسين بن علي

﴿ مزايا الملك حسين وعيوبه ﴾

للملك حسين من المزايا الكريمة ماينـدر مثله فى الرجال، ولو لم تكن فى جانبها صفات أخرى تذهب بأهميتها ، وتحوّل نفعها فى بعض الاحيان الى ضرر ، لكان هو الرجل الذي ينشده العرب والاسلام فى هذه الأيام

الملك حسين من أشجع الذين عرفتهم ومن أربطهم جأشاً . كانت القنابل التركية تتساقط على أركان دار الامارة من قلعة أجياد فى العشرين يوماً الأخيرة من شهر شعبان سنة ١٣٣٤ فتقع القنبلة الى جانبه وهو يكتب أمراً من الأوامر وأمامه أحد الموظفين ، أو فى اثناء صلاته خلف إمامه الشيخ ياسين بسيوني وعلى جانبيه سائر المصلين . فينفضّ كل من حوله عند نزول القنبلة وأما هو فيظل ثابتاً

كأنما لم يقع فى القصر شيء . ومن دلائل شجاعته بقاؤه فى مكة فى الحوادث الأخيرة أياماً كثيرة بينما الألوف من الاهالي يهاجرون منها الى جدة مع الخطر عليه هو من البقاء وليس على الاهالي من خطر

ومن مزاياه عزيمته الفولاذية ، وقد يلين الفولاذ ولا تلين له عزيمة . ولكن الشجاعة والعزيمة وسيلتان تحمدان اذا حمدت الغاية ، وتكونان آلتين ضارتين اذا كانت الغاية غير محمودة

ويمتاز الملك حسين بذكائه النادر فى فهم شئون الحجاز واستكشاف ضمائر المكيين حتى كأنه مع كل واحد منهم فى خلواته وجلواته ، ولكن هذا الذكاء تضيع مزيته فيما يتعلق بشئون غير الحجاز ، لأن الحسين بن علي لا يحاول ان يفهم الشئون الخارجية على حقيقتها من ينابيعها ، بل يريد ان يتلقاها بمقتضى عقليته هو ، وبحسب مالها من الخيال فى ذهنه

وهو ذو جَلَد عظيم على العمل : يستيقظ قبل شروق الشمس ويعمل الى وقت الغداء ، ثم ينام ساعة ويعود الى العمل حتى الساعة العاشرة ليلا . ومن عادته فى ليالى الصيف ان يمضي السهرة تحت السماء بلا سراج ، ويتحدث مع جلسائه فى الظلام ، واذا احتاج الى قراءة شيء طلب الشمعة فقرأ على نورها ثم يعود الى الظلمة

وقبل ان تعرف السيارات فى الحجاز كان يسافر بين مكة وجدة على بغلة له فيركب مساء ويسري الى الصباح فاذا وصل فى الصبح الى إحدى المدينتين يبدأ بالعمل طول النهار كانه كان نائما فى فراشه

ويتولى بنفسه كل أعمال الحكومة بتفرعاتها ، فهو مع موظفى الحرم فى وظائفهم ومع الوزراء فى أعمال وزاراتهم ومع رئيس البلدية فيما يقوم به ، والذين فى جدة يستأذنونه بواسطة التلفون فى كل عمل ، حتى سائس خيله لا يمضى عملا الا بمشورته

مباشرة . والذي يسهّل عليه كل ذلك أنه لا يضع أمامه ورقة ولا تتراكم عنده المسائل . فاذا استشاره مدير الشرطة أو وكيل الخارجية فى مسألة يذكرها للملك شفاهاً فيأمره بما يسنح له من رأى فى تلك الدقيقة صواباً كان ذلك الرأى أو خطأ ، ولذلك لم يشعروا بالحاجة فى تلك الحكومة الى اخصائيين يرجع اليهم فى الامور ، ولذلك أيضاً لم تتغير وزارة الحجاز منذ قامت حركة الحجاز ، لان الوزراء لا تتوجه عليهم مسئولية الأعمال وقد أمضوها برأيه . ومما تقدم يعرف القارىء كيف كان الوقت يتسع للملك حسين فى كتابة مقالات جريدة (القبلة)

والملك على غاية من الرقة واللطف مع جلسائه ـ ولاسيما مع الاغراب منهم ـ فهو يبدى لهم منتهى الموافقه على ميولهم ، غير أنه يتقى نتائج ذلك بطريقتين : الاولى أن يبادرهم بسرعة خاطر عجيبة الى تحويل الحديث عن المجرى الذى لا يرتاح اليه ، ويستفيد مما له من هيبة المقام فيقطع كلام محدّثه بالموافقة أولا على ما يقوله ، ثم يكمل الملكُ الحديث بغير المجرى الاول . والطريقة الثانية الاغراق فى الحذر من الناس ـ ولا سيما الاغراب ـ الى درجة سوء الظن بلا قرينة تدعو الى ذلك . قال وهيب بك ـ الذى كان والي الحجاز وقائدها ـ فى تلغرافه الى وزارتى الحربية والداخلية بالاستانة فى ٧ مارت سنة ١٣٣٠ : « ان الامير يسىء الظن بالناس جميعاً ، ولا ثقة له حتى بأولاده ، ويبغض أهل الكفاءة والعفة والوطنية والشرف من الموظفين ، ويقرب اليه سفلة الناس وأدنياءهم . وان قدوته الاعظم هو عبد الحميد السلطان المخلوع » . وأنا قد لاحظت هذا الامر من قبل ان أطلع على تلغراف وهيب بك وأظن الحكمة فى تقريبه السفلة دون أهل العفة والشرف أن اولئك ينقادون له راضخين لما يعلمه من زلاتهم ، وأما الآخرون فلا يسيرون معه الا على الواضحة . ولما كان السيد مساعد اليافى قائماً بشئون وكالة الخارجية مدة وجود الشيخ فؤاد معتمداً للحكومة الحجازية فى مصر

كان السيد مساعد يحاول ان يُلبس ما لا يُعقل من بلاغات الملك الى دار الاعتماد البريطانية فى جدة نوباً معقولا بحسن التعبير عنها بالتلفون أو بالمراسلات البريدية والبرقية . وبينما السيد مساعد كان يحسن الى الملك بعمله هـذا كان الملك يرسل التلغرافات فى الليل الى دار الاعتماد موقعاً عليها باسم السيد مساعد دون ان يعلم بذلك وفيهـا عبارات تسىء القوم ، فاذا عاتبوه فى الصباح وجد نفسه فى موقف حرج فلا هو يستطيع ان يقول ان التلغراف ارسل باسمه بدون علمه ، لان في ذلك فضيحة للحكومة التى يخدمها ؛ ولا هو يستطيع أن يتنصل من الاساءة بما لا داعى له ، لأن اسمه موقع على البرقية

﴿ الحركة الحجازية والسياسية العربية ﴾

من مظاهر التعارض بين الغاية الشخصية التي قام الملك الحسين لاجلها وبين الغاية القومية التي لبى رجال الامة العربية دعوة الملك الحسين لتحقيقها ان هؤلاء الرجال كانوا يرون وجوب المبادرة الى استعمال كل قوى الامة العربيـة لتكوين الدولة الجديدة ، انجازاً لامنيتهم الجنسية أولا واحتفاظاً بهيبتهم فى نظر حلفائهم ثانياً ، وامتناعا بهذه القوة مما قد يطرأ من الطوارىء أخيراً . فحاولوا أن يقنعوا الملك حسيناً بكل طرق الاقناع أن يسمح لهم بالسعى لدى امراء العرب ـ الامام ابن سعود والامام يحيى والسيد الادريسى ـ لتأسيس روابط بين الجميع اساسها بقاء كل واحد منهم مستقلا فى شئونه الداخلية واشتراكهم جميعاً فى الشئون العامة برياسة الحجاز . حتى ان الاستاذ الشيخ محمـد كامل القصاب قال له أمامي : أنا مستعد ان اسافر فى هذه الليلة الى الامام ابن سعود ثم الى الادريسى فالامام يحيى ، واذا كان يصعب على جلالتكم ان يَفهم الامراء أنى قدم من مكة فانى مستعد لان اسافر الى مصر وألبث فيها مدة ثم أتوجه اليهم ، وحسبي ان تكون أنت موافقاً على الخطة الاساسية عند ما يظهر لك أنهـا ممكنة التحقيق . فكان الملك

حسين يمنعه كل المنع من المضى فى هذا العمل ، ويقسم بالله أنه لا يسير فيه خطوة واحدة . وسنحت له فرصة لم يسبق لها مثيل وهى ان آل سعود بعد امتناعهم عن اداء فريضة الحج أكثر من مائة سنة لان الترك كانوا لا يزالون يجاهرونهم بالعداء وأوجدوا لهم عدوا من أتباعهم وهو ابن الرشيد فاغروه بالانتقاض عليهم وساعدوه على استلاب ملكهم . فلما قامت حركة الحجاز باسم العرب ـ ظاهراً ـ حضر شقيق الامام عبد العزيز بن سعود الى الحج ومعه عشرات الالوف من النجديين ، وكان حج تلك السنة حجاً عربياً اشترك فيه نجد والعسير واليمن . فأما شقيق ابن سعود فكان موضع الاكرام فى الظاهر مع الاغراق فى الحذر منه واساءة الظن به فى الباطن بما لا يخفى على القوم وذكاؤهم مشهور ، وأما جماعة الامام يحيى فقد حاول رجال الشريف فى منى ان ينتزعوا منهم علمهم فدافع حامل العلم عن علمه بسلاحه وكادت تقع فتنة ، وأما جماعة عسير فسمعوا من الكلام المؤذى شيئاً كثيراً . وبعد ذلك بمدة قبض الملك حسين على ناس من جماعة ابن سعود وسجنهم بدعوى أنهم يبيعون الابل للترك ، فكتب له ابن سعود ينفي هذا الامر ويشفع بهم فرمى بكتابه أمام رسله ثم أراد ان يتلافى هذه الغلطة ولكن السهم كان قد صدر عن القوس . ومع ذلك فانه ما برح يسب الوهابيين فى (القبلة) بما يحرج صدر أحلم الرجال

وقلنا له ـ وكان باب سورية لا يزال موصدا ـ : اننا قادمون على دخول سورية ، ولا بد لنا من التفاهم مع أهلها ولا سيما المعارضين منهم واكثرهم فى مصر وأمريكا . فينبغى ايفاد وفد الى مصر للوقوف على كل ما يطلبه أعيان السوريين فيها وارسال وفد الى امريكا من مثل الدكتور شهبندر ليفعل مثل ذلك مع زعماء المهاجرين فيها . فلم يعر هذا الاقتراح أيضاً شيئاً من الاهمية

﴿ الملك حسين والشريعة والقانون والمعاهدات ﴾

الملك حسين متدين حقاً ، واذا رأى أمراً فيه مساس بالشرع يغضب له كما يغضب وارثُ منزلٍ اذا رأى أحداً يُلحق الاذى بذلك المنزل . ولكن مما يؤسف له انه يعتقد فى نفسه انه أسرع الناس ادراكاً لحكمة الشرع ومعرفة بأسراره ، باعتبار أنه رب الدار فهو أعرف من غيره بما فيها ، وقد يجره هذا الى انكار قول أكبر المفسرين فى تفسير آية من الآيات ثم هو يفسرها بما يخالف قوانين العربية ، بل بما يخالف المعانى اللغوية . أراد مرة ان يشنع على الوهابية فاتهمهم باطلا بانهم يهينون النبي صلى الله عليه وسلم . وكأن هذا الامر اذا صح يحتاج الى نص من الشرع على قبحه فأراد ان يستدل بآية من القرآن على عظم منزلة الرسول من ربه فأورد آية « لقد جاءكم رسول من أنفُسِكم عزيز عليه ما عَنِتُّم » ولكنه وقف عند قوله « عزيز عليه » وأرجع ضمير « عليه » الى المولى سبحانه وتعالى وجعل معنى « عزيز » أنه ذو مكانة عظيمة عند الله ! هذا مبلغ فهمه للكتاب والسنة ، ثم هو يزعم ان بلاده لا تعمل بالقانون بل تعمل بالشرع ، وهي ويالاسف لم تحصل على هذا ولا على هذا ، والواقع ان القانون المستمد من روح العدل ـ كما هو الغالب فيه ـ لا يمنع الشرعُ العملَ به اذا لم يصادم نصاً صريحاً من نصوصه

ومثل فهمه للشريعة فهمُه للمعاهدات ، ولذلك احتفل منذ نحو سنتين بالمعاهدة الانجليزية لأنه فهم من ظواهرها انها تتضمن الاعتراف بالاستقلال للبلاد العربية ، فلما انتقدتها جريدة الاهرام ثم اطلع الفلسطينيون على نصها فانكروها كل الانكار عاد فامتنع من التوقيع عليها . ومن هذا القبيل المراسلات التى دارت بينه وبين الانكليز قبل قيامه : فانه حسبها معاهدات تضمن حقوق العرب ولم يفهم مطاويها ولم يُطْلع عليها أحداً حتى ولا أبناءه ، وكان يقول لهم

دائماً :ان عهودهم لي بجيبي . وكان يهزأ من الذى قال له : لو اقترحتَ على الانكليز أن يعرضوا المعاهدة على البرلمان ليصادق عليها . وانما هزأ منه لأنه يرى أن رجال البرلمان اشخاص من الشعب ـ مثل مجلس الشيوخ الذي أسسه هو بمكة ـ وأما الذين كاتبوه وتعهدوا له فهم رجال الدولة

﴿ لو كان دستوريا ﴾

لو كان الملك حسين دستورياً ، والحركة التى قامت من الحجاز يوسَّد كلُّ عمل من أعمالها الى رجال الكفاءة والاختبار ؛ ولو أطلقت أيدي الذين أرادوا اصلاحَ المعارف ، وتكوينَ الجيش ، وتوحيد قوى الأمة العربية ؛ ولو كان التصرف بالاموال التى مرت بأيدي الملك حسين وأولاده تصرفاً حكيما ؛ لكان للمسلمين الآن دولة عربية مستقلة عزيزة الجانب ذات قوة وبأس تسير بخطوات واسعة نحو تجديد الحضارة الاسلامية وتجهيزها بمعدات الكمال .فهل يقوم للعرب والاسلام فى مهد العرب والاسلام من يجدد لهما شبابهما ؟

اشتدي أزمة تنفرجي

﴿ عطيل ﴾

رأيت بعضهم ينكر على خليل بك مطران ارجاعه اسم (اوتللو) ، بطل رواية شكسبير المعروفة ، الى لفظ (عطيل) وعدوا ذلك مجاراة منه لمن عرب هذه الرواية قبله ، وهم يزعمون أن ذلك ليس من اسماء العرب . وينفي قولهم هذا أن العرب كانت تسمي ابناءها باسم (عطيل) فضلا عن مواليها ، حتى أن فى القرب من جبل (الاشعر) بالحجاز بئراً تدعى (بئر عطيل) سميت باسم (عطيل المليحي) المنسوب الى مليح وهو بطن من قبيلة الربعة من بنى جهنية (أنظر مادة « الاشعر » فى معجم ما استعجم للبكري طبعة وستنفلد فى غوتنجن سنة ١٨٧٦)

الحياة الفكرية في تركيا

قرأنا فى جريدة (اقدام) مقالا لمحررها أدهم روحى بك أورد فيه شكوى أحد كبار أطباء الترك من انصراف شبابهم عن الاختصاص في فروع العلم الى الاقتصار على الالعاب الرياضية . فقال المحرر : ان الحياة الفكرية فى تركيا متجهة نحو الاضمحلال ، وكانت قبل ربع قرن أرقى منها الآن فقلّ عدد المتضلعين بالادب ، وفترت هم المصنفين يفتور هم القراء . قال : كنا قبل ثلاثين عاماً نتعلم التعليم الابتدائى وكنا نقتصد فى اليوم القرش أو نصف لنشترى فى كل أسبوع عدداً من مجلة جدية أو نسخة من كتاب علمى نافع . وكانت رغبة الطلبة فى المطالعة المفيدة تزيد تسعين فى المائة على الرغبة التى نراها اليوم في طلبتنا ، مع أن النشر لم يكن فى الامس حراً كما هو اليوم . واذا ظهرت اليوم كتب جدية تظل منزوية وراء زجاج المكاتب يمر بها شبابنا ولا يعرضون لها . والذين نسميهم « متنورين » من الاطباء والمحامين لا نراهم يفتحون كتاباً منذ أنهوا دراستهم ، والذين شذوا عن هذا هم من الجمل بمقدار اذنه . ولامخرج لنا من هوة الانقراض العلمى التى نحن متجهون نحوها الا اذا أخذت الحكومة هذه المسألة بيدها اليمنى فشملت بحمايتها أهل الفضل المتعلمين وفضلتهم على غيرهم فى وظائفها وجعلت المطالعة والتضلع بالعلم من وسائل النجاح عندها . ان الانتصار الحقيقى هو فى تعميم الثقافة والتغلب على ظلمات الجهل ، ولو انتصرنا فى الف معركة حربية لا يفيدنا ذلك شيئا الا اذا انتصرنا على العدو الاكبر وهو الجهل

الدموع

لا تحسبي دمعي تحدّر إنّما نفسي جرت في دمعيَ المتحدرِ

ابن دريد

خراب القيروان

ـ من محاضرة الاستاذ عبد العزيز الراجكوتى ـ

كتب البازورى وزير المستنصر الى المعزّ :

« أما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا »

ثم رماه بقبائل هلال الذين كانوا مع القرامطة وهم رياح وزغبة والأثبج وغيرهم ووعدهم بالنصر وأعطاهم من العُدّة والأسلحة والمال ما يكفيهم فتقدّموا وجعلوا يَرْقَةَ مرجماً لهم وأخذوا يُخيفون السُبُل والقُرَى، ويُخرّبون الديار ويحرقون الزرع ، ويَعيثون فى الأرض ، ويدمّرون كلّ ما مرّوا به ويقتلون عباد الله . فسرّح اليهم المعز جيوشه فهزموهم . فنهض بثلاثين ألفاً من غلمانه وزُهائهم من قبائل صنهاجة واصطف قريباً من جبل حيدران [١] أو جندران [٢] وظهر منه من الجراءة والإقدام وحبّ الحمام ما لم يُعهَد مثله . إلاّ أن فَشَل صنهاجةَ وتوا كُلّهم جلب له عاراً باقياً حيث هزمهم العربُ وهم ثلثة آلاف على ماقال شاعرٌ :

وان ابن باديس لأفضل مالك ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلثون ألفاً منهم غلبتهم ثلث الاف [٣] ان ذا لمحال

ثم إنه قوّى عزمَه وخرج ثانياً بسبْع وعشرين ألف مُقاتل وثبت غلمانه وقبائل زناتة إلا أن صنهاجة غدروا بهم على عادتهم فانهزم بمن معه . ثم رَخّص كَرْهاً قبائلَ العرب أن يدخلوا قيروان للبيع والشراء . إلاّ أن هيبته كانت زالت عن قلوبهم فأخذوا يجوسون خلال الديار ويذيقون العباد والبلاد أهون

(١) ابن خلدون ٦ : ١٥٩ (٢) الكامل ٩ : ٢٣٦
(٣) فى الكامل ثلثة ألاف ولعل الصواب ثلثة ألف على خلاف القياس

الدمار . فأشار المعز على ناسه أن ينتقلوا الى المهدية وكان عليها ولده تميم من سنة ٤٤٥ هـ وخرج هو أيضا بنفسه سنة ٤٤٩ هـ الاّ أنهم لما رأوا القيروان خالية من الحامية شرعوا فى العَيْث والهَدْم والإحراق على جارى عادتهم . ولما رأى الروميون ماحلّ بهم أغاروا على المهدية. وثار ثُوّار البرابرة أيضاً فصيّروا حواضر إفريقية كمَصْف مأكول . فلَبِث المعزّ فى باقى حياته وهو أربعة أعوام منزوياً عن زهرة الحياة متشتّتَ البال كئيبَه كشمس كَسَفَتْ أو عين نَضَبَتْ . وحدث فيه من الحِدّة ما نفّر عنه دُرَرَ عِقْده فتناثرتْ بعد التئامها وارتحل صاحبنا ابن رشيق ايضاً مع انه كان حِلْسَ البيت وحليفَ وكره الى صقلّيّة وكانت من الاختلال بحيث رأيت ودريت . وذكر ابن خلدون[1] فيما نحن فيه كارثةً ترقّ لها القلوب وتذوب وتنهمل العيون بالغروب . وهو أن المعزّ[2] خرج فى خفارة مؤنس أمير رياح من القيروان الى المهدية بعد أن أصهر اليه فى ابنته فأنكحه إياها اه

والجوع يُرْضى الأسودَ بالجِيَفِ

أقول وأذكرتنى الاريحيّة الأدبية أن الحارث بن عُبّادٍ[3] لما هزم مُهَلْهِلاً فى حرب بكر وتغلب لحِقَ باليمن فنزل فى جَنْب حيّ من اليمن فخطب اليه رجل منهم ابنته فقال انى طريد غريب فيكم ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه . فأكرهوه حتى زوّجها وكان المهرأدماً فقال :

أنكحها قِدُها الأراقمَ فى جَنْبٍ وكان الحِباء من أدم
لو بأبانَيْنِ جاء يخطبُها زُمِّلَ ما أنفُ خاطب بدم

ثم مات سنة ٤٥٣ هـ . وخلفه ابنه تميم وكان شاعراً[4] ومدحه ابن حمديس

(١) ٦ : ١٥٩
(٢) وفى الاصل ابن المعز ولعله خطأ كما يدل عليه كلامه فيما بعد
(٣) طبقات الشعراء ليون ص ١٦٥
(٤) راجع لشعره الشريشي ١ : ٢٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢ : ٢٨ الى غير ذلك

وغيره من مُفْلِقي الشعراء . وكان داهيةً ، ومن دهائه ما نقله ابن الأثير تحت سنة ٥٠١ هـ أن حَيَّيْ عدىّ ورياح اقتتلا فقُتل رجل من رياح وتصالحا على اعدار دمه فخصّ تميم رياحاً على أخذ الثأر بأربعة أبيات أولها :

متى كانت دماؤكم تُطَلُّ أما فيكم بثأر مستقِلّ

فتحاربا وتقاتلا وكفاه الله حربهم ونجّاه من شرّهم . ثم تولّى ابنه يحيى بن تميم ثم علىّ بن يحيى ثم حسن بن على وعليه ختام هذه العائلة التى حكمت ٢٠١ سنة . ومات يحيى سنة ٥٦٣ هـ . وكل ملوكهم أبناء لأصلاب أسلافهم

﴿ سبب خراب القيروان غريب ﴾

مهما كان فى وُسْعنا فاننا لم نقصر فى البحث عن أسباب خرابها ولم نألُ فى التنقيب عن بواعث هزيمة المعزّ . ثم رأينا ابن ناجي[1] شارح المدوّنة المتوفّى سنة ٨٣٧ هـ ذكر له علّةً غريبة أحببنا نقلها قال ما خُلاصته :

قلت وسبب خراب القيروان إجابة دعاء الشيخ الواعظ عبد الصمد فانهزم سلطان القيروان مع كثرة عساكره وقلة من جاءه . وذلك أنه كان له ولد صالح تقىّ واعظ يسمى أبا الحسن محمداً . وكان يجلس بجامع القيروان الأعظم يُسْمِع كلامه .. الى آخر ماوصفه به ثم قال : ومالت له القلوب والاسماع وكثرت له الأتباع حتى حَذِره السلطان وخاف على نفسه منه فاستعار منه بعض الكتب فأرسل اليه فطالعه السلطان ثم رَدّه فتصفح الواعظ أوراقاً منها فوجد بينها سجادة بخط السلطان [2] كأنه نسيها بين أوراق كتبه فاذا فيها « زعم ملوك الفرس وحكماء السيَر والسياسة أن أهل التنمّس والوعظ وتأليف العامّة أضرُّ الناس على الملوك وأقبحهم أثراً فى الدول فيجب أن يُتدارك أمرُهم ويُبادَرَ الى حَسْم الأذى

(١) المعالم ٣ : ٢٣٦ — ٢٣٨

(٢) كذا يريد بطاقة كما صرح به فيما بعد . ولم أجدها فى المعاجم بمعنى يليق bitâqa

منهم » فلما قرأ البطاقة تغطّن للحيلة ثم انه أراد الحج وخرج معه خاصةَّ القيروان وعامتها وأمره السلطان بالزاد وذلك إ ٢٢ من رجب الفرد سنة ٤٤١هـ ومعه رجل وكلوا به أن يعدلوا معه الى مدينة قابس ونهى أن يشيّعه أحد أو يخاطبه وكتب الى عامله بقابس فى تحذير الناس من الدخول عليه وصار السلطان يُعلن بذمّه . . ثم انه لما خرج عنها قتله رجل من الاعراب فى طريقه ذلك

قال جعفر بن شَرَف لما قُتل كثرَ التظنّى من الناس على السلطان أنه دَسّ عليه مَنْ قَتَله . قال وبلغنى أن أباه أخبر بقتله وهو بجامع عمرو بن العاص بمصر فنزل قدمه فى الحين وهو يلبّى بالحجّ من مكانه ذلك وتبعه خلق عظيم وكان يطوف بالبيت ويتعلّق بأستار الكعبة ويصيح بقوله :

يارب المعز ، عليك به ! يارب ، عليك بابن باديس !

فكانت الهزيمة بالقيروان فى اليوم الثاني من حجّه ودعائه وذلك كان أصل خراب القيروان فلم يشكّ أحد فى أجابة دعائه فنعوذ بالله من تغيّر قلوب أوليائه وهذا أصحّ من نقل عياض عن محمد بن عبد الصمد اه على طوله

وانى لاستفتيه وهو مالك عصره « وكيف أُفتى وفى المدينة مالك » أن يجيبنى عن هذه الاسئلة : (١) هل كان الاعراب يسمعون أوامر المعز ويطيعونه فكيف يكون مسئولا إذاً ؟ (٢) لِمَ خَصَّه المعزّ من بين الوُعّاظ بالشُبْهة وهذا أىّ تأليف قلوب العامّة شأنُ كلّهم (٣) هل نَمّ قولٌ فى المذهب أنّ ظَنّ العوامّ أو نَبزَهم أحداً يكفى فى استيجاب قتله (٤) هل يصلح ويليق بولىّ أن يدعو على سلطان مسلم بالهلاك والدمار بناء على الشُبهة من دون تحقيق اللّهم إلا أن يتصل بأنه علم الواقعة بالكشف فعليه إذاً إثباته (٥) هل يَسْمَح عَدْلُ الله أن يأخذ بُرآءَ القيروان بذنب المعزّ فقط مع أنه يقول « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « ولاتزر وازرة وِزرَ أخرى » أوْنَمّ قرآنٌ خاصٌّ لأولياء الله يخالف ما بأيدينا

(٦) هل جامع عمرو بن العاص خامس لمواقيت الحجّ الاربعة فان كان ففي أيّ مذهب ؟ (٧) نحن كلّنا نرى كلّ دول أوروبا الاستعمارية تسير في مستعمراتها هذه السيرة بعينها فهل نحصل على نُجاب الدعوات كالشيخ يخلّصنا من أيديها الباطشة المُجْحِفة بنا . ولعمري لو عثرت على قوله بادىء بَدْء لاقتصرتُ عليه ولم أبحث عن أسباب الخراب في مجلّدات ضخام . أللّهم أهد قومي فانهم لا يعلمون

﴿ عاصمة قيروان ﴾

المعروف أن منسوبها قيروانيّ الاّ أن ياقوت ذكر القَيْرَوِيّ أيضاً في معجمه وفي مجموعة بالاسكوريال فيها نُخبة من شعره «القَرَوي» على التجريد عن الزوائد وجامع القَرَويّين بفاس لمنسوبين الى القيروان هذه

هذه البلدة وان كانت إسلامية اختطّها عُقبة بن نافع الفِهْرِي المولود في عهده صلى الله عليه وسلم رحمه الله إلا أنها صارت بمرور الزمان من أمّهات بلاد إفريقية وبَرَزت عليها في العُمْران والمدنية بحيث لم يضاهها أيّ بلدة كانت من بلادها. فاجتمع فيها من فضلاء العلماء ، وصلحاء الأولياء والفقهاء والاطبّاء والكُتّاب ومُفْلِقي الشعراء والمهندسين والمنجّمين من الوِهاد والنجادِ وانضوَوْا إليها من سائر البلاد ما جعلها مدينة الاسلام بالغرب . ولما أنها كانت واسطة بين المشرق والمغرب عرّج عليها أو خيّم بها كثير من المجتازين والطلبة الراحلين . وأناروا في نفوس أهلها غراماً للعلم كامناً ووَلَعاً لاكتساب الفضائل ضامناً . فرحلوا وعمروا وطنّهم بأنواع المعارف ودَبّجوا لها المطارف . قال الدباغ [1] في ترجمة أبي عبد الله بن سعدون القيرواني : انّه كان من أهل العلم بالفروع والأصول وكتبَ الحديث بمكة ومصر والقيروان . زاد ابن ناجي أن خروجه من القيروان كان للتجارة فطاف بلاد المغرب والاندلس وأخذ الناس عنه هناك

(١) المعالم ٣ : ٢٤٥

كأهل قرطبة وبَلَنْسِيَةَ والمَرِية وغير ذلك من البلاد اه وأما فقهاء المالكية كأسد بن الفرات [١] وتلميذه سحنون وابن أبي زيد صاحب الرسالة وابن يونس واللخميّ وابن مُحْرِز التونسي وابن بشير فكان اليهم منتهى موالك الغرب والأندلس والمعوّل فى حلّ معضلات المسائل . قال الدباغ [٢] فى ترجمة أبى القاسم عبد الحقّ السيورى وكان من الحفّاظ المعدودين والفقهاء المبرّزين وكان يحفظ المدوّنةَ من صدره زاد ابن ناجى أن فيه بتراً لأنه كما كان يحفظ المدوّنة كان يحفظ دواوين المذهب الحفظ الجيّد وغيرها من أمهات كتب الخلاف حتى انه كان يقول لمن ينقل شيئاً غريباً أين وقع هذا ليس هو فى كتاب كذا ولا فى كتاب كذا يعدّد أكثر الدواوين المستعملة من كتب المذهب والمخالفين والجامعين ، فكان فى ذلك آيةً . وعرّفني من نثق به عن شيخنا أبى محمد الشبيبي أن الواردين لقراءة العلم بالقيروان من محبتهم فى المدوّنة أكثروا فى ثمنها فاشتروا ما بالقيروان منها حتى عُدمت منها فأتوا الى الشيخ فأملاها عليهم من رأسه . ثم وُجدت نسخة بالقيروان فقابلوا ما أملي عليهم الشيخ بها فوُجدتا سواء اه مختصراً

وأما حسن سَمْت علمائها ورغبتهم في البرّ والايثار فانك ترى صفحات المعالم طافحةً بذلك راجع [٣] ترجمة أبى على الحسن بن خلدون . وكان بها طبيب طائر الصيت يسمى ابن الجزّار وآخر يدعى ابن أعين وهاك ما نقل فيه صاحب المعالم [٤] « وكان أحمد بن عوانة نسخ للفقيه أبى علىّ جزءا من كلام الاشعرى يساوى أربعة دراهم فدفع له أجرة ذلك فلم يقبل ثم ان ابن عوانة ذهب الى تونس فى زيارة المؤدّب محرز فأتى الى القيروان وقد أصابه رمَد شديد فأنزله

(١) راجع مقدمة ابن خلدون مصر سنة ١٣١١ هـ ص ٢٦٧ والديباج
(٢) المعالم ٣ : ٢٢٥ (٣) ٣ : ١٩٠ ـ ١٩٤ (٤) ٣ : ١٩١

أبو علي معه فى الدار واستدعى الطبيب ابن أعين يداوى عينيه فداواه حتى برأ وكان يُجرى عليه النفقة فلما أراد السفر أعطاه رزمةً فيها جامع ابن وهب يساوى نحو ثلثمائة درهم، وكان يُجرى النفقة على جماعة من أهل العلم والطلب الخ . وأما النجوم فقد اكتفى فيه بكلام ابن خلدون [1] والرجل أدرى بما فى بيته « وقد عوّل المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن إسحاق من منجمى تونس اه »

قال صاحب البساط ان حضرة المعزّ كان يطرأ عليها نحو مائة شاعر كان برأسهم ولىّ نعم ابن رشيق علىّ بن أبى الرجال الكاتب الشيبانى . وهو الذى أهدى اليه كتابه العمدة كما يقول :

ان الذى صاغت يدي وفمي وجرى لسانى فيه أو قلمى
مما عُنيتُ بسَبْك خالصه واخترته من جوهر الكلم
لم أهده الا لتكسوَه ذكراً يجدّده على القِدم

الى آخر الستة الأبيات وقد زيّن كتابه بشعره [2] . وكان يتضاءل له كما يقول [3] :

إنى لأعجب كيف يَحسُن عنده شعر من الأشعار مع احسانه
ما ذاك إلاّ أنه دُرّ النُهى يف [4] التِجارُ به على دهقانه

ويُعْلِمنا بنفسه أنه لعليّه كالمتنبىء لعليّه أعنى سيف الدولة . وكان هذا الفاضل كاتباً للمعزّ خصّيصاً به مربّياً له. وكان يقترح على ابن رشيق مساجلة الشعراء وهذه الأبيات [5] من هذا الباب ساجل فيها الناشىء صاحب قصيدتين [6] فى وصف الشعر :

(١) المقدمة ٢٩١ (٢) راجع العمدة ١ : ٨٧ ، ١٦٣٧ (مكرر) ، ٢ : ١١ ، ١٤ ، ١٨ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١٣٤ (٣) العمدة ١ : ١٦٣
(٤) كذا ولعل الاصل « يقف » أو « يوفى » [(الزهراء) : الذي فى نسخة خطية عندنا من العمدة مكتوبة سنة ٩٩٣ « يفد » وهو الصواب] (٥) العمدة ١ : ٢٣
(٦) العمدة ٢ : ٩١

الشعر شيء حسن ليس به من حرج

الى آخر العشرة الأبيات

وكان الولع بقرض الشعر سرى بين الخاصة والعامة كما يدلك عليه حكاية الانموذج هذه [١] قال ابن رشيق جلست في دكان ابي لقمان الصفار وكان يتهم (كذا) في شعره مع جماعة من الشعراء وابو لقمان والدركادو يلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجري بينهما من غريب المهاترة . فقال الدركادو اجز يابا لقمان :

حيتان حبك في طنجير بلوائي

فقال ابو لقمان : وخم وبيك في كانون احشائي

فقال له احمد بن ابراهيم الكوني احسنت يا ابالقمان ، قسيمك خير من قسيمه فزهي ابو لقمان وقال ادافع في بديع الشعر وهذا شعري في الهتف . اه . ويشبهه حكاية اخرى في الانموذج [٢]

والآن نسرد عليك اسماء تواريخ قيروان ورجالها :

(١) انموذج الزمان وياتي (٢) معالم الايمان للدباغ وذيله لابن ناجي (٣) تاريخ القيروان [٣] لابن زيادة الله الطُبْنى (٤) تاريخها [٤] لابي محمد بن عفيف (٥) تاريخها [٥] لابن رشيق (٦) طبقات [٦] علماء افريقية (٧) وكتاب عباد افريقية [٦] كلاهما لابي العرب محمد ابن احمد بن تميم (٨) كتاب في اخبار ملوك افريقية والقائمين عليهم [٧] للتاريخي (٩) كتاب مسالك افريقية وممالكها [٨] : تاريخ ضخم لمحمد ابن يوسف الوراق القيرواني ، ألفه للحكم المستنصر صاحب الاندلس . واما التي تجمع بين تاريخها وتاريخ غيرها فهي كثيرة

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلام

(١) البدائع ١ : ٧٠ و٩٣ (٢) البدائع ٢ : ٣٩ (٣) المعجب ـ ليدن ص ٢٥٩
(٤) المعجب ص ٢٥٩ (٥) كشف الظنون (٦) كلاهما من الديباج ٢٥٠
(٧) تاريخ علماء الاندلس لقضي العدد ١٣١ (٨) التكملة لابن الابار العدد ١٠٥٠ وص ٣٦٧

واما الآن فليس بالقيروان من السكان غير عشرين الف نفس بعد ان كانت غاصّة بقُطانها ، وهم على ماقيل لم يقلوا عن الف الف (مليون)

فهرس

ليس بأيدينا كتاب خاص بشعرائها وأدبائها فاحببت أن أدل على قطرة من البحر . على أنك تجد هنا جزءاً من الانموذج الذى خلت منه المكاتب العمومية فيما أعلم

عبدالوهاب بن محمد الازدى المعروف بالمثقال . فوات الوفيات ٢ : ٢٤ من الانموذج

ابن المؤدب . ابن خلكان والابارى ٦٥٤ و ٢٣٢ و ٢٦٣ من الانموذج

ابوحبيب عبد الرحمن بن احمد . الفوات ١ : ٢٥١ التكملة لابن الابار من الانموذج

ابو لقمان الصفار والدركادو الكمونى . بدائع البدائه ١ : ٧٠ من الانموذج

ابو العباس ابن حديدة . البدائع ١ : ١١٣ و ١٢٠ من الانموذج

محمد بن حبيب التنوخى . البدائع ١ : ٢٣٩ من الانموذج

محمد بن جعفر القزاز صاحب الجامع — وسيأتى في جملة الشيوخ — ابن خلكان ومعجم الادباء من الانموذج

عبدالكريم بن ابراهم النهشلي وسيأتي

أبو اسحق الحصرى صاحب زهر الآداب وسيأتى

ابو الحسن محمد الصرائرى . بساط العقيق ٦٣ من الانموذج

عبدالله بن رشيق اندلسى قيروانى . التكملة لابن الابار العدد ١٢٨١ من الانموذج

عبد العزيز بن أبى سهل الخشنى الضرير — وسيأتى في الشيوخ — بغية الوعاة ٣٠٨ من الانموذج

عبد العزيز بن خلوف الجروى } نثار الازهار ٢٥ من الانموذج
محمد بن ابراهيم }

محمد بن أبي سعيد بن شَرَف الجذامي. معجم الأدباء عن ابن رشيق فى ترجمته
محمد بن عبدون السوسى . رحلة التيجانى أمارى ٣٧٩ عن ابن رشيق
بعلى بن ابراهيم الاريسى . الأدباء ٦ : ٤٦٩ والبدائع ٢ : ٣٩ عن ابن رشيق
أبو الفضل الدارمى الوزير . البدائع ٢ : ١١٩ المعالم ٣ : ٢٤١ البساط ٥٣ عن ابن رشيق
ابراهيم المازدى القيروانى . البساط ٥٢ عن ابن رشيق
عبد العزيز بن محمد القرشى . « ٥٢ « « «
الطوسى الاعمى الشاعر . الغيث المنسجم ٢ : ٢٢٥ « «

﴿ بعض أدبائها ﴾

على بن أبى الرجال الشيبانى ولىّ النِعم على ابن رشيق . العمدة
أحمد بن أبى الأسود الأدباء ١ : ٣٧٨
على بن فَضّال القيروانى « ٥ : ٢٨٩
الرقيق القيروانى وهو فاضل جليل « ١ : ٢٨٧
عبد الله بن محمد الازدي العطار. الفوات ١ : ٢٣٥
ابن معدّ القيروانى المعاهد ٢ : ٢٢
عمر الخراط القيروانى « ١ : ١٢١
محمد بن عطية بن حيان الكاتب . البساط ٥٢
أبو العرب الصقلّى أمارى ٦٠٨ وغيره
الحكيم الفيلسوف أبو الصلت أمارى ٦٠٠ وابن أبى أصيبعة وغيرهما
« « أبو الفضل جعفر بن شرف . الصِلة العدد ٢٩٥ الضبى العدد ٦١٠
تميم بن المعز . ابن خلكان إلى غيرهم وهم كثيرون

حلب و أهلها

— قصيدة خليل بك مطران في نادي الشبيبة بحلب —

ضرب الأرضَ فانتهبْ وكايماضةٍ ذهبْ
آية العصر جائب بينما لاح إذ غرب
ضاق بالسرعة الفضا ء ولم يبق مغترب
يدرك الشأوَ أو يكا د منى أزمع الطلب
أرزُ لبنان ؟ هاكه . حلبٌ ؟ هذه حلب
أيها الجائز الجبا هِلَ لا يعرف النَّصب
يصل المدن والقرى بمتينٍ من السبب
أفمُوانٌ اذا التوى في صعود أو في صبب
إن ترامى بين الرُّبى خِلْتَ فُلكاً بين الحَبب
وإذا شبم موقداً فهو كالنجم ذي الذنب

* * *

إن في هذه الضلو ع لكالمارج اللهب
ذاك حس من الكمُو ن وَرَى زَندُه فهبّ
هو شوق الى حمىً كل ما فيه مستحب
ميل شجرائه حنا نٌ وفي طوده حدب

* * *

إي هذي الشهباء والـ ـحسن في ذلك الشهب
حبذا في ثراك ما فيه من عنصر الشهب
ذلك العنصر الذي ظل حُراً ولم يشب

عنصر قد أصاب منهُ ابن حمدان[1] ما أحبّ
وبه أحمد[2] ارتقى ذروة الشعر فى العَرَب

***

حبذا قِسمكِ الجديـ ـد وما فيه من رحب
حبذا الجانب القدّ يم نبت دونه الحقب
السويقات عقدها من حجار أو من خشب
والبسانين من جنا ها الأفانين تهتدب
والمباني بها الحليُّ البديعاتُ والقبب
يا لها من زيارة قُضيت وهي لى أرب
تم سعدي بمن رأيت بها اليوم عن كثب
وبأني قضيت من حقهم بعض ما وجب
إنّ من قال فيهم أعنب المدح ما كذب
جنتهم والفؤاد بي خافق كلما اقترب
فالتقونى كعائد للحمى بعد ما اغترب
تلك والله ساعة أنست المتعب التعب

***

ليس بدعاً وانهم صفوة الشرق والنخب
من نساء زواهر بحلى الحسن والأدب
محصنات مربّيات النجيبات والنُّجب
ورجال إذا همُ سابقوا أحرزوا القصب
شرفوا العلم ما استطا عوا ولم يحقروا النشب

(١) أبو فراس الحمداني (٢) أبو الطيب المتنبي

أمهر الطالبين للـــكسب من خير مكتسب
أحلم الناس عن هُـدى ما الذي يصلح الغضب
أحزم الخلق إن يكن سَرَفٌ جالب العطب
من رأى منهم المكا ن لفـوز به ونب
محـرزاً غاية الذي رام في كل مُطلَب

* * *

فيهم الحـاسب الذي لايجارَى إذا حسب
فيهم الـكاتب الذي لا يبارَى إذا كتب
فيهم العـالم الذى عقـله كوكب ثقب
فيهم الشاعر الذي شعره للنهى خلب
فيهم القائل الصَّوْ ل على الجمع إن خطب
فيهم الصـانع الذي صـنعه آية العجب
فيهم المطرب المجـدُّ فنـوناً من الطرب

* * *

يا كراماً أحلى فضلهم أرفع الرتب
ان فخـراً نحلتمو ني لأغلى ما في الحسب
لم يكن لى ، من أنا ؟ هو للشعر والأدب

خليل مطران

الوصية القديمة

قال قُصَيٌّ لولده : من عَظَّم لئيما شاركه فى لؤمه ، ومن استحسن مستقبَحاً شاركه فيه . ومن لم تُصلحه كرامتكم فدلوه بهوانه ؛ فالدواء يحسم الداء . . .

تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٧٨

العرب وسنتياغو

أرسلت جريدة (لاراسون) مندوباً عنها يقوم برحلة استكشافية فى أقاليم الجمهورية الفضية فكتب اليها من سنتياغو رسالة عنوانها « صوت الدم » قال فيها :

« فى هذه العاصمة — ولا سيما بين طبقة العمال — لا يستطاع التمييز بين السوريين وأهل سنتياغو ، فهم يتناوبون العمل ، ولهم عادات واحدة ، ويساكن كل منهما الآخر ويعيش معه على نمط واحد ، حتى يستحيل التمييز بين السنتياغيين والسوريين . وقد تحدثت فى هذا الامر مع الدكتور (فكتور الكورتا) فقال لي :

— انها مسألة تدعو الى الريبة ، ولعل العرب هم أسلاف السنتياغيين .

ومن يستطيع أن يؤكد أن ذلك العنصر الرحال ، العصبي المزاج ، الذى استطاع أن يكتسح العالم ، لم يمر بهذه البلاد قبل ان اكتشفها خريستو فوروس كولومبوس ؟ وليس علينا الا ان نلاحظ تشابه العربية والكتشوا [1] ، ومزاج العرب ومزاج هؤلاء ، والسهولة التى يجدها السوريون فى توفيق معايشهم وأحوالهم مع معايش وأحوال سكان هذه البلاد

قلت له : — ولكن من جاء بهم الى هذه الولاية كمهاجرين ؟

قال : — لقد جاءوا وحدهم . قد اجتذبهم نداء الدم ، لان من يقول هذا عربى يقول هذا سنتياغى . انهم مثلنا : تأخذهم جنة فى سبيل امتلاك جواد ، وفى المغامرة وراء مهمة خطيرة شاقة . . . وهم مثلنا أيضاً خياليون جداً فى الحب

ان العربى يؤمن ايماناً عظيما بالقضاء والقدر ، وهكذا هم ابناء سنتياغو . ولكن رغما من السكينة والتهاون اللذين يعيشون عليهما تراهم اكفاء للقيام باشد المساعي وأعظمها . ولذلك لا ترى أحداً فى هذه الولاية يرتاب في المستقبل ، خصوصاً بعد ان يطوف في جوانبها ومرافقها ، وحينما يعلم بهذا الشعب ما هو قدره ، وماهو بوسعه ، يكون مظهرا رائعاً من مظاهر عظمة الارجنتين

(١) لغة محرفة بالاكثر فى مقاطعة كوسكو (بيرو) وقد امتدت هذه اللغة بامتداد الفتوحات الى الشمال حتى الاكوادور ، والى الجنوب حتى بوليفيا وولاية كاركا الارجنتينية

أبو اسحاق النجيرمي

بدأت في العدد الماضي من الزهراء بنشر رسالة

﴿ أيمان العرب في الجاهلية ﴾

التي ألفها أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النَّجِيرَمِيُّ وسأنشر بقيتها في العدد الآتي من (الزهراء) ؛ وهي أوفى ما اطَّلعتُ عليه في موضوعها

وقد أفادتنا هـذه الرسالة ـ في جملة ما استفدناه منها ـ أن الحَلِفَ بالله جلَّ وعزَّ كان رأس الأيمان عند العرب ، لأن أكثرهم كان على مِلَّة الحنيفية إرث أبينا إبراهيم صـلى الله عليه وسـلم . وقد ورثه آل اسماعيل وأخوالُهم من جُرْهُم ومَن هبط عليهم بَطحاءَ مكة من بني خُزاعة وغيرهم . وهي مِلَّة التوحيد التي شِيبَتْ ـ في المدّة القصيرة بين زمن عمرو بن لُحَيّ الخزاعي وبين ظهور النور المحمّدي العميم ـ بمثل ما تُشاب به العقائد عادةً اذا ابتعدتْ عن ينبوعها الصافي

وإن عناية علماء العربية من سلَفٍ وخلَفٍ بحفظ الصِّيَغ التي كانت العرب تختارها للحلف بها ، لهي مما يسهّل علينا اليوم ان نتصوّر هذا الجانب من أحوال سُكان أواسط جزيرة العرب ، أيام لم تكن تُدوّن أخبارهم وأحوالهم في كتاب

المؤلف

والنجيرميُّ ـ مؤلف هذه الرسالة ـ من رجال العربية والأدب والتاريخ ، ذكره ياقوت في (معجم الادباء) وفي (معجم البلدان) ، والصفَدي في (الوافي بالوفيات) ، والسيوطي في (بغية الوُعاة) ، والزَّبيدي في (تاج العـروس) وقال عنه : « . . . مؤلف كتاب (أيمان العرب) وهو عندي بخط قديم . . »

وكان مُقام أبي اسحاق النجيرميّ في مصر ، وتولى فيها منصباً من أجلّ المناصب السياسية يومئذ وهو منصب الكتابة لكافور الاخشيدي [١] القائم بأعباء المملكة المصرية في النصف لاول من القرن الرابع الهجري . والظاهر أن النجيرمي كان من منصبه هذا في طمأنينة وهناء لم يبقيا له بعد كافور ، بدليل رجز صغير له يفيد هذا المعنى ، وسيأتي بعد

وكان النجيرمي ـ فضلاً عن مكانته هذه في ادارة الحكم بوادي النيل ـ مرجعاً في التعليم والإفادة ، وقد ورد في النتف التي تركها لنا المؤرخون من ترجمته أن ممن أخذ العلم عن النجيرمي أبا الحسين المهلّبي ، وأبا اسامة جنادة ابن محمد اللغوي الازدي الهروي [٢] الذي قتله الحاكم صاحب مصر سنة ٣٩٩ ، قالوا : وقد أخذ عنه غيرهما كثير من أهل العلم

مؤلفاته

وفي كتب التراجم نقص وتقصير فيما جاءتنا به عن أبي اسحاق النجيرميّ ، حتى أنها لم تشر الى شيء من مؤلفاته . وقد رأيت ما نقلناه عن الزبيدي في التاج من ذكر (أيمان العرب) واطلاعه على نسخة قديمة منه . وذكر ياقوت في مواضع متفرقة من (معجم البلدان) بعض مؤلفات للنجيرمي ، منها (في مادة البريص) كتاب الامالي ، وفي مادة (كفر نجد) أن له تعليقاً ، وقال (في مادة الجابرية) : كذا هو مضبوط فيما كتبت عن أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي . وقال في ترجمة النجيرمي من معجم الادباء « قرأت في كتاب من املاء النجيرمي . . . » ولم يسمّ هذا الكتاب

(١) أنظر ترجمة كافور في وفيات الاعيان

(٢) روى ذلك ياقوت في ترجمة النجيرمي من معجم الادباء ، والصفدي في الوافي بالوفيات (٥ : ٣٣ النسخة التيمورية) ، والسيوطي في بغية الوعاة (ص ١٨١)

شعره

ولمؤلف (أيمان العرب) شعر بليغ ، رأيت منه قطعتين : احداهما من القصيد وقد ارتجلها في حضرة كافور الاخشيدي [1] وذلك ان الفضل بن عباس دخل على كافور فقال له « أدامَ اللهُ أيامِ سيدنا الاستاذ » فتبسم كافور الى أبي اسحاق النجيرمي ، فقال ابو اسحاق :

لاغروَ إن لحن الداعي لسيدنا ... وغُصَّ من هيبة بالريق والبهر
فمثلُ سيدنا حالت مهابتُه ... بين البليغ وبين القول بالحَصرِ
فان يكن خفض الايام عن دهش ... من شدّة الخوف لامن قلة البصر
فقد تفاءلتُ في هـذا لسيدنا ... والفألُ نائرُه عن سيد البشر
بأن أيامَه خفض بلا نصب ... وان دولته صفوٌ بلا كدر

فأمر له كافور بثلاثمائة دينار ، وللفضل بمثلها

والقطعة الثانية من الرجز نقلها ياقوت فى معجم الادباء عن كتاب من إملاء النجيرمي لم يسمّه ولعلها من شعره بعـد كافور . قال كاتبها : أنشدنى أبو اسحاق وعمي له :

بدّلني الدهرُ أميراً معورا
بسيد كان خضمًّا كوثرا
اذا شممتُ كفّه مؤمّلا
شممتُ منه غَمَراً مقتّرا [2]
بما أشمُّ مِسكاً وعنبرا
يا بدلاً كان لقاء أعورا

(١) ذكرت فى ترجمة النجيرمى من معجم الادباء ، والوافى بالوفيات ، وبغية الوعاة ، وفى ترجمة كافور من وفيات الاعيان

(٢) الغمر : زنخ اللحم . والمقتر من القتار وهو الدخان من المطبوخ

تنبيه الى خطأ

ونسبوا له قطعة ثالثة وليست له ، فقد قال ياقوت : وأنشدهم أيضاً لنفسه :

وإني فتى صبر على الأين والوجى اذا اعتصروا للوح ماء فظاظها[1]
اذا ضربوها ساعة بدمائها وحلّ عن الكوماء عقد شظاظها[2]
فانك ضحاك الى كلّ صاحب وأنطقُ من قُسّ غداة عُكاظها
اذا اشتغب المولى مشاغب معشم فعذرة فيها آخذ بكظاظها[3]

والظاهر ان الذين سمعوا هذا الشعر من أبي اسحاق النجيرمي توهموا انه ينشدهم لنفسه ، وحقيقة الشعر أنه لرجل من إياد يذكر عذرة بن حجرة الخطيب الايادي[4] كما نص على ذلك امام الادباء أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٥ الطبعة الثانية)

وفاته

هذا كل ما استطعت معرفته عن أبي اسحاق النجيرمي ، وأنه معاصر لكافور ، ولم يذكر لنا مترجموه سنة وفاته ، الا الصفدي فانه ترك لها بياضاً في آخر ترجمة النجيرمي من الوافي بالوفيات فقال : توفي رحمه الله في . . . . ثم لم يتيسر له أن يملأ موضع البياض

---

(١) الاين : الاعياء والتعب . الوجى : الحفا وهو أن يرق الحافر وينسحج . اللوح : العطش . الفظاظ : جمع فظ ، هو ماء الكرش يعتصر ويشرب منه عند عوز الماء في المفاوز

(٢) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الشظاظ : خشبة عقفاء محدودة الطرف تجعل في عروتي الجوالقين اذا عكما على البعير

(٣) في البيان والتبيين : « اذا شغب المولى مشاغب معشر » أي فرّق طرقهم . الكظاظ الشدة والتعب في الامر حتى يأخذ بالنفس ، والممارسة الشديدة في الحرب

(٤) وذكر شاعر ايادي آخر عذرة فقال :

كقس اياد أو لقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

النجيرميون

وقد عُرف باسم النجيرمي غير واحد ، منهم يوسف بن يعقوب النجيرمي (٣٤٥ ـ ٤٢٣هـ) وابنه بهزاد بن يوسف وكان مقامهما في مصر أيضاً . قال ابن خلكان فى ترجمة يوسف : هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ، مامنهم الا من هو ماهر فى اللغه كامل الادوات متقن لها

نجيرم

قالوا : ونجيرم محلة فى البصرة وقريه كبيرة على ساحل الخليج الفارسى دون سيراف بما يلي البصرة ؛ وربما قيل لها نجارم ، والتجار وأهلها يقولون نيرم فيسقطون الجيم تخفيفاً . قال ياقوت في معجم لبلدان : رأيتها مراراً ، ليست بالكبيرة ، ولا بها آثار تدل على انها كانت كبيرة أولاً . فان كان بالبصرة محلة يقال لها نجيرم فهم ناقلة هذا الاسم اليها ـ أي الى القرية ـ وليس مثلها ماينقل منها قوم يصير لهم محلة . يعني ان القريه التى على الخليج الفارسي ينبغي ان تكون سميت باسم المحلة التى فى البصرة

الاصل الذى اعتمدت عليه

وقد اعتمدتُ على نسختين فى طبع رسالة (أيمان العرب) احداهما فى مكتبة حضرة العالم المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا (رقم ٣٦٢ لغة) وهى فى عشر صفحات متوسطة الحجم ليس فيها تاريخ كتابتها ، ولا اسم كاتبها ، ويغلب على الظن انها من القرن العاشر الهجري وفيها تحريف كثير ونقص . ويليها تراجم منقولة من كتاب الغنية فى تسمية شيوخ القاضي عياض ومن غيره

والنسخة الثانية فى دار الكتب المصرية (رقم ٢٣٤ مجاميع) وهى فى عشر

صفحات أيضاً وتشابه النسخة الاولى فى تحريفها وفى خلوها من التاريخ واسم الكاتب. فاضطُررت الى تصحيح كل فقرة فيها من مظانها فى كتب الادب واللغة ونبّهت على أكثر ذلك فى أسفل الصفحات ، وأظنني تمكنت من ردّها الى أصلها الصحيح بقدر ما تبلغه الطاقة

﴿ مدرسة الطب العربية ـ في دمشق ﴾

للفرنسويين فى ديار الشام لجنة طبية تتولى فحص متخرجى المدارس الطبية الثلاث : الاميركية واليسوعية فى بيروت ، والعربية فى دمشق . وقد انتهت في هذا الشهر من فحصهن ، فخطب رئيسها القائد الفرنسوي الدكتور ترانو على متخرجى المدرسة العربية قائلا :

سادتي ،

لا تنتظروا من أحد أطباء الجيش خطابا طويلا ، ولكني ببذه الجمل القليلة أريد أن اوضح لكم ما خامر قلوبنا من السرور حينما ندبنا أنا ورفيقاى لنكون من أعضاء لجنة الامتحان الاجمالى. ان هذه الفرصة أيها السادة المُجازون قد سنحت لنا لنتحقق بأنفسنا ان طلاب المعهد الطبي العربى لم يتركوا مجالا لتفوق زملائهم من طلاب المعهدين الفرنسي والاميركى عليهم . لقد شاهدنا طلاب المعاهد الطبية الثلاثة فى بيروت ودمشق ونلنا شرف اختبار مقدرتكم جميعاً فكان اعجابنا عظيما بمواهبكم وحافظتكم القوية وذكائكم الوقاد وقابليتكم لاكتساب كل العلوم التى تأتيكم عن الحضارة الغربية ، تلك الحضارة التى ليست هي فى الحقيقة الا بنت حضارة أجدادكم العرب الاولين ، فى العهد الذي انجبوا فيه أمثال ابن سينا . لقد وقفنا بانفسنا على مواهبكم العقلية كما وقف من قبلنا كثير من ادبائنا وكتابنا الذين أتوا بلادكم على نبل أخلاقكم . وقد اتيح لنا أن نذوق لذة الاقامة فى مدينتكم تحت ظل خمائلها الزمرّدية ، وبين خرير ينابيعها المترقرقة اللجينية ، وقد استنشقنا هواءها المشبع بذكرى ماضيكم المجيد . فهذه الايام القصيرة التى قضيناها بينكم ـ ايها السادة ـ ستبقى من أسعد أيامنا

المرأة الفارسية

أفرط الفرس فى حجاب المرأة فى العصور الماضية افراطاً من شأنه أن يفضي الى التفريط اذا داهمت ايران تلك النزعات السريعة التى يزجيها اليهم حب التقليد . وشرّ حالات الامم فى اعتقادنا أن تجمد عند ما كانت عليه المرأة الفارسية فى حجابها ، أو ان تندفع بتهوّر خارجةً على تقاليدها وآدابها القومية حباً بتقليد الامم القوية فى الأعراض دون الجواهر . وجماع الحكمة فى الارتقاء هو التدرج نحو الكمال باختيار الافضل فى كل شيء بأناة يدل معها التطبع على الفضائل

نقول هذا بمناسبة حركة التفريط التى تدعو اليها مجلة (صداى زنان) — أى صدى النساء — الاسبوعية التى تصدر فى شيراز فقد كتبت منشئتها السيدة ليلى مقالة فى أحد أعدادها الاخيرة أشارت فيها الى حالة السوء التى كانت عليها المرأة الفارسية فى العصور السالفة ، ولكنها بدلا من ان تحلل الاسباب التى جعلتها فى تلك الحال اختصرت الطريق فألقت المسؤولية كلها على عاتق علماء الدين فى بلاد فارس . ثم صاحت بنساء ايران قائلة :

« أيتها المرأة الفارسية ، أيتها الاخت التى تمزقت فى قبضة الجهل ألوفاً من السنين . انه لم يبق لك رجاء الا فيك ، فمن ثباتك ومن عزمك اطلبى الرجاء . ارفعى لواء العصيان فى وجه الغاشمين الذين استعبدوك بلا رحمة واستردّى منهم حقوقك . اعملي لارتقائنا المعنوى والمادى ، فانه لم يبق امامك غير هذا السبيل »

ونحن الذين نتمنى للمرأة المسلمة فى كل مكان تهذيباً راقياً وأدباً وثقافة يساعدانها على اصلاح المنزل وتعميم النظام فيه وانشاء رجال للمستقبل مسلحين بالعقول الناضجة والقلوب الصالحة والنفوس المهذبة — كنا نتمنى للائى تعودن حمل الاقلام من نساء ايران وسائر البلاد الاسلامية أن يوجهن دعوتهن الى الاصلاح لا الى العصيان والى الثقافة لا الى الفوضى والى الانشاء لا الى التهديم

في العالم الإسلامي

أنباء علمية أدبية اجتماعية

﴿ بيت الله الحرام ﴾

دخلت طلائع جيش السلطان عبد العزيز بن سعود مكة في هذا اليوم (١٥ ربيع الاول) دون ان تلاقي مقاومة ، لأنها اكتفت بالتضييق على رجال حكومة الحجاز من الخارج كما فعل آل سعود في المرة السابقة قبل مائة وعشرين سنة . وقد دخلوا تواً الى بيت الله الحرام فطافوا بالبيت سبعاً طواف العمرة ، وأعلنوا كلمة الامان والسلام في البلاد . وكان بعض الاهالى قد فر خوفاً من اشاعات السوء التى كانت تشاع عن النجديين بالباطل ، فأرسل اليهم النجديون من أعادهم وطيب خواطرهم وعادت السكينة في مكة الى خير مما كانت عليه

﴿ بريد جوي الى جاوة ﴾

يهتم المتمولون الهولنديون في جاوة بالعمل لانشاء خط جوي منظم بين هولندا وجاوة يكون ذا صلة بالخط الجوي بين لندن وكلكتا

﴿ حضارة افريقية الشمالية الغربية ﴾

أسست جمعية تعاون جاليات شمال افريقية فى القاهرة لجنة لنشر آداب افريقية الشمالية الغربية وحضارتها برياسة الاستاذ السيد محمد الخضر التونسي للبحث عن الكتب التى تعرّضت لهذا الموضوع والقاء المحاضرات فيه وترجمة ما ورد عن ذلك في الصحف والكتب الاجنبية . وقررت نشر ما يحرره اعضاؤها في (الزهراء)

﴿ مكتبة يلدز ﴾

أعطت الحكومة التركية مكتبة قصر يلدز لمدرسة دار الفنون (جامعة القسطنطينية) ومعها كل ما يتبعها من أثاث ورياش

﴿ حكومة الافغان والثائرون عليها ﴾

اذاع سفير الافغان في انقرة اخباراً بأن حكومة الافغان أظهرت القوة أولا في مقاومة الثائرين عليها ، حتى اذا صار في مقدورها البطش بهم ، أخذت تفاوضهم مفاوضات سلمية اجتناباً لسفك الدماء ، وندبت وفداً يدعوهم الى الحسنى

في العالم العربي

أنباء علمية وأدبية واجتماعية

﴿ كفاءة العراق للاستقلال ﴾

وقف اللورد بارمور في مجلس جمعية الامم وأعلن ان الحكومة البريطانية لم تعد ترى بقاء نظام الانتداب ضرورياً في العراق . ومن رأى اللورد بارمور أن العراق أظهر أهليته للحكم المستقل

﴿ مركز العراق الصحي ﴾

مرّ بالعراق في الشهر الماضي المستر كليمور المندوب الصحي عن جمعية الامم لتفقد الشئون الصحية في بلاد فارس . ويقول مدير الصحة العام في بغداد ـ فيما نقلته عنه جريدة العالم العربي ـ : ان وضع العراق الجغرافي والسياسي ذو اهمية كبرى في نظر العالم المتمدن ، لأنه بوضعه هذا يتمثل كحاجز منيع يصد هجمات الامراض السارية عن أوربا وبلاد الشام وشمالي افريقية . وقد أعرب عن ارتياحه لما شاهده في مملكة العراق الفتية من التقدم السريع المحسوس في التشكيلات الصحية

﴿ الموصل بين العرب والترك ﴾

قرر مجلس جمعية الامم تعيين لجنة خاصة مؤلفة من ثلاثة أعضاء لفحص مسألة الموصل في مكانها نفسه ، على ان تقدم تقريرها الى المجلس بعد انتهاء ما تجريه من تحقيق . وقد تعهد الفريقان باحترام الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود حتى يصدر مجلس العصبة قراره الذي يقبلانه من الآن . ولكن هذا التعهد اقتصر على القول دون الفعل لان العصابات حاولت انتهاك حرمة الحدود

﴿ أريحية عراقي في الشام ﴾

اصطاف السيد هاشم بك الكيلاني ـ الوجيه العراقي ـ هذا العام في صوفر ، ولما ازمع العودة الى بغداد وهب جميع أثاث منزله الفاخر الى مصح ظهر الباشق الذي يعنى بالمرضى البؤساء